الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

السلام الأميركي والشرق الأوسط

المصالح الاستراتيجية الكبرى لأميركا في المنطقة بعد 11 أيلول

«عن العبرية»



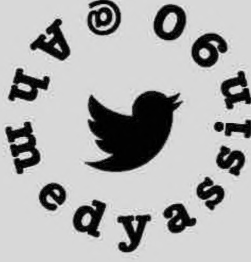
تصوير
أحمد ياسين

تأليف:
برادلي أ. تاير
مركز بيغن – السادات للدراسات الاستراتيجية

ترجمة بإشراف:
د. عماد فوزي شعيبي
مركز المعطيات والدراسات الاستراتيجية

السلام الأميركي والشرق الأوسط

المصالح الاستراتيجية الكبرى لأميركا
في المنطقة بعد 11 أيلول



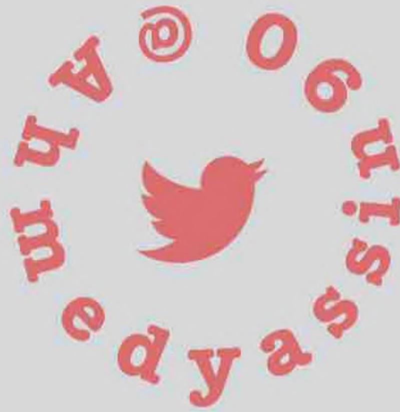
برادلي أ. تاير
مركز بيغن - السادات للدراسات الاستراتيجية

ترجمة بإشراف
د. عماد فوزي شعيبي
مركز المعطيات والدراسات الاستراتيجية

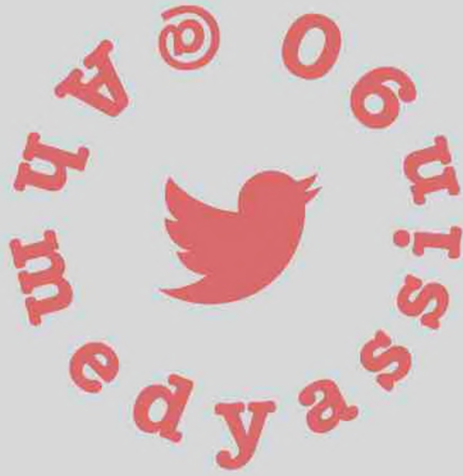
تصوير
أحمد ياسين



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. s.a.l.



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90



تصوير

أحمد ياسين

تويتر

@Ahmedyassin90

بسم الله الرحمن الرحيم

تصوير
أحمد ياسين

الطبعة الأولى
1425 هـ - 2004 م

ISBN: 978-614-02-0010-4

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص. ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

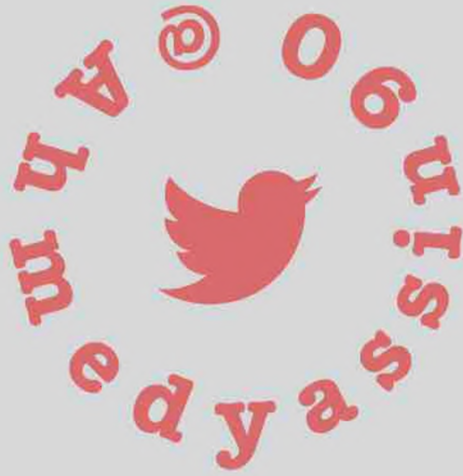
يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية

بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

ليس بالضرورة أن تعبر الأفكار الواردة في هذا الكتاب
عن رأي الدار العربية للعلوم أو مركز المعطيات والدراسات الاستراتيجية

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611+)
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

تصوير
أحمد ياسين



تصوير

أحمد ياسين

تويتر

@Ahmedyassin90

مقدمة

نادراً ما تكون الحروب أشياء نافعة ولكن الأشياء الجيدة غالباً ما تأتي من الحروب. لقد أحدثت الحروب تغيرات اجتماعية جذرية في المجتمعات الغربية فضاعفت من الحقوق السياسية، وزادت من معرفة القراءة والكتابة وإتاحة الفرص التعليمية، وفسحت في المجال أمام التقدم التقني بدءاً من الرادار وانتهاءاً بالمضادات الحيوية. والشيء المكافئ لذلك في الأهمية هو حقيقة أن الحروب تمنح المنتصرين فرصة إعطاء الأولوية لمصالحهم في السياسات الدولية. فبالنسبة لإسرائيل مثلاً كانت حروب 1967، 1969 - 1970، 1973 قد شكلت حجر الأساس لإحلال السلام مع مصر والأردن. وعلى الرغم من العناصر المناوئة فقد كانت حرب لبنان أداة في الصراع الطويل لإسرائيل مع منظمة التحرير الفلسطينية لإجبارها على الاعتراف بإسرائيل.

وقد استفادت الولايات المتحدة بالمثل من حروبها الحديثة. إن وضعها العسكري الذي يُرثى له عندما دخلت الحرب العالمية الأولى، سرعان ما تحسن وتطور الاحتراف لديها لدرجة تتمكن معها من الدخول في حرب حديثة تعتمد على التطور الصناعي لمواجهة أعدائها من القوى العظمى. لقد كان الهجوم المفاجئ على ميناء بيرل هاربر في عام 1941 صدمة عظيمة للبلاد وكارثة كبيرة للجيش والأسطول البحري في المحيط الهادي. وبرغم ذلك منحها نصرها في الحرب العالمية الثانية الفرصة لإعادة صياغة أوضاع شمال شرق آسيا وأغلب دول أوروبا بأن جعلت من أعداء الأمس حلفاء اليوم وخلقت الولايات المتحدة لنفسها وجوداً لم يسبق له مثيل. إن الهجمات الإرهابية في 11 أيلول 2001 كانت صدمة عظيمة الشأن تماثل الهجوم على ميناء بيرل. ومثل الهجمة السابقة كان للحرب على الإرهاب التي أعلنتها إدارة جورج دبل يو بوش عقب هجمات 11 أيلول قد منحت الولايات المتحدة الفرصة للتحسين من وضع مصالحها في الشرق الأوسط والتخلص من المناوئين لها وتوسيع نطاق سلطتها[1].

تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف كيف أن الحرب على الإرهاب التي أعلنتها إدارة

بوش بعد أحداث 11 أيلول سوف توسع إلى حد كبير جداً من النفوذ الأميركي وتواجدها في منطقة الشرق الأوسط.. وهذا بدوره قد يقود إلى إعادة تشكيل المنطقة بما يتوافق مع الفكر الأميركي التحرري: دعم وتطوير حكومات وأسواق متحررة. ومثلما أن الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة قد خلقت الفرصة لوجود أميركي دائم في أوروبا وشمال شرق آسيا، فإن الحرب على الإرهاب تقدم الفرصة اللازمة لزيادة القوة العسكرية والاقتصادية الأميركية إلى أقصى حد في منطقة الشرق الأوسط مما له دلالات عميقة على وجود حلفاء ومناوئين للولايات المتحدة في المنطقة. تتمحور المناقشة الرئيسة لهذه الدراسة حول ضرورة التوسع الكبير للسلام الأميركي في الشرق الأوسط، لأنها بذلك تحمي مصالحها التقليدية في المنطقة وتكون قادرة على تعجيل مصالح جديدة لها.

تبدأ هذه الدراسة بتقييم للاستراتيجية الكبرى للأولويات وبتحليل للأهداف الاستراتيجية التقليدية لأميركا في منطقة الشرق الأوسط خلال فترة الحرب الباردة والعقد الذي سبق أحداث 11 أيلول. تعني الاستراتيجية الكبرى كيف تعرِّف الدولة مصالحها والتهديدات التي تستهدف هذه المصالح ووسائل التعامل معها[2]. إن الاستراتيجية الكبرى للولايات المتحدة هي أن تكون في المقام الأول أو السيطرة والتسلط التي تعني حالة من السياسات الدولية التي تهيمن فيها دولة على دول أخرى نتيجة لقوتها وتفوقها العسكري[3]. إن السيطرة الأميركية تمنحها القدرة على إعطاء الأولوية لمصالحها الدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية، كما تمنحها أيضاً القدرة على تقديم أفكارها إلى المجتمع الدولي بوضع مقاييس تطبيق ونظم سياسية مقبولة تعكس قيمها[4]. ويمكن للسيطرة أن تخلق حالة من الاستقرار في السياسات الدولية وفي بعض المناطق المحددة كما فعل سلام روما وسلام بريطانيا وقد حدث هذا بالفعل مع سلام أميركا في أوروبا وأميركا اللاتينية وأغلب بلدان آسيا[5].

أثناء فترة الحرب الباردة كان الهدف الاستراتيجي الأكبر لأميركا في الشرق الأوسط هو تأمين تدفق النفط المجاني إليها وإلى حلفائها في أوروبا وآسيا. وما تزال الحقيقة القائمة اليوم أن النفط عنصر هام جداً وحاسم في النواحي الاقتصادية والعسكرية

للديمقراطيات الصناعية، وبدون النفط سوف يضعف الاقتصاد ولن تكون القوى العسكرية قادرة على محاربة الاتحاد السوفياتي وقد كان الاتحاد السوفياتي متميزاً على الغرب في هذا الجانب بسبب وجود منابع النفط في بلاده.

ولتحقيق هذا الهدف اضطرت أميركا لتقديم دعم كبير للحكومات الحليفة مثل مصر، إيران، إسرائيل، المملكة العربية السعودية وتركيا لتحد من التوسع السوفيتي في المنطقة. وحافظ النفط على أهميته كهدف استراتيجي في أعقاب أحداث 11 أيلول، كما برزت أهمية دعم الحلفاء. وأصبحت كل الظروف لصالح التوسع الأميركي في منطقة الشرق الأوسط وكان لابد لإدارة بوش أن تحكم قبضتها على الفرصة التي سنحت لها في حربها على الإرهاب والنصر الذي حققته في العراق فإعادة تشكيل بلدان الشرق الأوسط والتوسيع الجوهري للوجود الأميركي في المنطقة. وعندما تطرح الإدارة الأميركية هدفها الطموح في إحداث تغييرات في نظام الحكم في العراق فإنها تطرح هدفاً أكثر جرأة يتمثل في إحداث تغييرات في المنطقة باستخدام السلطة الأميركية لإنشاء أنظمة حكم مؤيدة لأميركا في منطقة الشرق الأوسط كما فعلت في آسيا، أوروبا، وأميركا اللاتينية.

على الرغم من أن الولايات المتحدة هي الدولة الأقوى بين السياسات العالمية إلا أنها يجب أن تسرّع في تنفيذ توسع انتشار القوة الأميركية في منطقة الشرق الأوسط لسببين:

الأول - إن لدى إدارة بوش الفرصة لإجراء هذه التغييرات ولكن المدى محدود ومحكوم بالدورة الانتخابية القادمة وسوف تبقى هذه الإدارة في الحكم لغاية 2004 أو 2008، ولكن وبرغم ذلك فإن لديها الفرصة بتسليم منطقة الشرق الأوسط للولايات المتحدة بطريقة يجد فيها خلفاؤها صعوبة في تعديلها جوهرياً. ولكن السبب الأكثر أهمية هو الحالة الراهنة للنظام الدولي إذ لا يوجد نظير منافس يوازي سلطة الولايات المتحدة كما كان حال الاتحاد السوفياتي في فترة الحرب الباردة. إن غياب النظير المنافس في منطقة الشرق الأوسط يمنح الولايات المتحدة الأولوية في السياسة الدولية ويقدم لها فرصة فريدة للتقدم بأهدافها ونفوذها قبل أن يتبدل الحال مع ظهور منافس لها. ولتحقيق التغير في

المنطقة لابد أن يتضمن جدول أعمال السلام الأميركي البنود التالية:

الاستناد إلى ما تم التوصل إليه بالفعل وهو التخلص من العراق من خلال حملة سريعة وجريئة كعملية تحرير العراق (والتي تعرف باسم حرب الخليج الثانية) وقد أصبح إسقاط حكم صدام حسين بهذا كاملاً، ولكن لابد من تأمين العراق لتحقيق أهداف الولايات المتحدة في ذلك البلد.. إن خلق حكومة مناصرة لأميركا في بغداد وإنشاء قواعد أميركية تسهّل من عملية الهيمنة.

يجب على الولايات المتحدة أن تمارس الضغط على إيران وسوريا لتغيير سياسات معينة تهدد هدف تغيير المنطقة. ويجب على إيران أن تتوقف عن دعم الإرهاب وأن توقف برنامجها النووي. ويجب على سوريا أن توقف دعمها للإرهاب، ولتحقيق هذا كله لابد من التواجد الأميركي العسكري الدائم وإنشاء مزيد من القواعد في المنطقة لدعم عملياتها العسكرية والاستخباراتية ضد إيران وسوريا.

يجب على الولايات المتحدة أن تقضي تماماً على القاعدة أو تضعف كيانها، والطريقة الحاسمة في إنجاز هذا الهدف يرتبط بتغيير أو إعادة تشكيل الحكومات في إيران وسوريا. ومع مرور الوقت وظهور دعم الدولة والتغير الاجتماعي في منطقة الشرق الأوسط، سوف تتلاشى قوة التنظيم. إذ أن هجمات تنظيم القاعدة ضد الولايات المتحدة على مدى العقد الذي سبق أحداث 11 أيلول توضح أن هذا التنظيم يشكل تهديداً حقيقياً لمصالح الولايات المتحدة فيكون بذلك من الصواب أن جعلت الولايات المتحدة من تنظيم القاعدة هدفاً لها. كما توجد جماعات إرهابية أخرى في منطقة الشرق الأوسط والتي من شأنها أن تؤثر على المصالح الأميركية إلى حد ما. ولكن واشنطن في الوقت الحاضر لا تسعى إلى تدمير حزب الله في جنوب لبنان والجماعات الأخرى التي تستهدف إسرائيل والتي تتضمن حركتي حماس والجهاد الإسلامي الفلسطينيتين إذ ينبغي على الولايات المتحدة أن تقدّر بشكل جيد حجم التهديد الذي يشكّله حزب الله. وغالباً ما يعتبر المحللون الأميركيون هذه المجموعة متشابهة في عوامل التحريض وهي الجانب الوطني والقومي، في حين ينبغي على أميركا ألا تتورط في صراع وطني بين إسرائيل وحماس أو الجهاد

الإسلامي، وإنما ينبغي على أميركا أن تواظب على مراقبة حزب الله عن كثب والاستعداد تماماً لتدميره وفقاً لقدراته وارتباطه الحديث، ولكن المتنامي مع تنظيم القاعدة والدعم الذي يلقاه من إيران وسوريا.

يجب على الولايات المتحدة أن تدعم دولة فلسطينية لا تهدد أمن إسرائيل، فالتواجد الأميركي الواسع يعتبر فرصة هامة للغاية في تحسين أوضاع الأمن في إسرائيل وفي تعزيز العلاقات الأميركية - الإسرائيلية، ولكن هنالك احتمال أن يفاقم هذا التواجد من حدة التوترات القائمة في العلاقات بينهما. إن أهم المواضيع المطروحة هو القضية الفلسطينية - الإسرائيلية إذ يجب على إدارة بوش أن تتعلم من تجربة إدارة كلنتون وألا تفرض بالقوة إقامة دولة فلسطينية قبل الأوان.. فالشروط اللازمة لا تتوفر بعد في الجانب الفلسطيني إذ أن قيادته لا تستطيع قبول متطلبات الأمن الإسرائيلي كما أن فرض إقامة الدولة الفلسطينية سوف يتطلب ضغوطاً لا تقبلها الحكومة الإسرائيلية. إن القيادة السياسية الفلسطينية تسير في اتجاه إيجابي ولكن العناصر المتوفرة ليست بالقوة الكافية لتحكم دولة فلسطينية وتقف في وجه من يسعون إلى إيذاء إسرائيل.

تم تقسيم التحليل التالي إلى قسمين رئيسين:

يهتم القسم الأول بمراجعة مصالح أميركا الإستراتيجية التقليدية الكبرى في الشرق الأوسط. ويشرح القسم الثاني الأسباب التي تجعل الولايات المتحدة تمتلك القدرات لتوسيع سلطتها وما الذي جعلها كذلك. والأساس في هذه الأقسام هي النظرية الواقعية للسياسات العالمية. ورغم متغيراتها العديدة تهتم النظرية الواقعية أساساً بسلطة الدولة وكيف يتم استخدام هذه السلطة للتقدم بمصالح الدولة والدفاع عنها وصيانتها. من الممكن أن تماثل الواقعية النقاش الذي يدور بين المحافظين الجدد في الولايات المتحدة مثل أندرو باسفيتش أو ماكس بوت[6]. ومثل نظرائهم الواقعيين يكون للنقاشات التي تدور بين المحافظين الجدد الجانب الصحي السليم للسلطة الأميركية. وإن العنف الذي يبديه المحافظون الجدد في جدالهم يدور حول وجوب نشر الأفكار التحررية من خلال استخدام السلطة الأميركية ويترافق ذلك مع النظام الاقتصادي والسياسي الأميركي. وإذا رغبت

بتعبير "استبدال الحكومات السيئة بحكومات جيدة" فلن يعترض أي واقعي على هذا بالضرورة. إذ يدرك الواقعيون أهمية وجود أفكار متماثلة ونظم سياسية في نظام الدولة.. فهذا مفيد على وجه الخصوص للدولة المسيطرة على الدول الأخرى إذ يزيد من تأثير سلطتها مع تعاظم المصالح وبالتالي تصبح مقاومة المصالح المتشابهة أقل. ولهذا أيضاً يرغب الواقعيون بنشر الثقافة والنظام الأميركي سياسياً واقتصادياً، وفي الواقع إن الجدل القائم بين الواقعيين والمحافظين الجدد يتداخل في العديد من الجوانب.

ولكن الجدل الواقعي في هذه الدراسة يختلف عن منظور المحافظين الجدد من نقطة هامة.. وهي أن الواقعيين راغبون بالعمل مع أية دولة أو حكومة بهدف التقدم بالمصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة فالواقعيون يعتبرون المصالح الاستراتيجية في المقام الأول. وحالما يتأمن هذا الجانب يكون من الممكن السعي نحو أهداف هامة ومطلوبة أخرى، كنشر نظام السوق الحرة وإنشاء حكومات ديمقراطية. ولن ينشأ هناك أي توتر بين أهداف أميركا الاستراتيجية ونشر أفكارها وعقائدها ولكن، إذا كان من شأن الديمقراطية أن تقوّض الأهداف الاستراتيجية للبلاد - بأن تزعزع الاستقرار في بلد حليف هام مثل مصر مثلاً - فسوف يكون الخيار أمام الواقعين واضحاً. فمن الهام جداً المحافظة على كل دولة حليفة مهما تكن ضعيفة وعدم تقديم الهدف الفرعي بنشر الديمقراطية.

لا توجد أخدوعة في هذه الدراسات لكي نقول بأن دولاً حليفة مثل مصر، تركيا، أو الحكومة العراقية الوليدة ترغب في تبني النظام السياسي أو الاقتصادي أو الثقافي لأميركا. أنهم يدعمون ولو بشكل ضعيف - بل ويعارضون أحياناً - السياسات الأميركية لأن مصالحهم الذاتية تدعوهم إلى فعل ذلك. لو كان الاتحاد الأوروبي أو الصين هي الدولة المهيمنة على العالم اليوم لوجدنا هذه الدول تدعمها بدرجة قوية أو ضعيفة حسبما تتطلب مصالحها هي ذلك. ولهذا كله ينبغي على الولايات المتحدة أن تتوخى الحذر.. فنظامها الاقتصادي والعسكري وإيديولوجيتها قوية جداً ولذلك عليها أن تصارع لفرض الديمقراطية والسوق الحرة، ولكن ليس على حساب تقويض الأنظمة الموالية في الشرق

الأوسط أو في أي مكان آخر من العالم. ربما سرعان ما تتحول الأنظمة غير الديمقراطية إلى أنظمة ديمقراطية ولكن في أغلب الحالات ينبغي أن يكون التغيير ناشئاً بالتدريج وأن يحدث من الداخل لا أن يكون ثورياً ومفروضاً من سلطة خارجية.

وكملاحظة تمهيدية أخيرة من الهام أن نؤكد على أن نقطة التركيز الأهم في هذه الدراسة تتعلق بالأهداف الاستراتيجية الضخمة للولايات المتحدة في الشرق الأوسط.. ولذلك لا توجد حاجة لمناقشة تفصيلية لما يسمى الأهداف الفورية للولايات المتحدة كتحقيق الاستقرار في أفغانستان والعراق. ومع أن هذه الأهداف الفورية هامة ومن المؤكد أنها ملحة وصعبة بالإضافة إلى الخطوات اللازمة لتأكيد إنجاز الأهداف الاستراتيجية الضخمة، إلا أن اهتمامنا في هذه الدراسة سيتركز على الأهداف الثابتة وطويلة الأمد في المنطقة.



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

1 - المصالح الأميركية في الشرق الأوسط في فترة الحرب الباردة: النفط والأعمدة الخمسة الداعمة:

إن الأمر الذي كان ملحوظاً حول تدخل الولايات المتحدة في شؤون الشرق الأوسط أثناء فترة الحرب البادرة هو أن تواجدها كان معتدلاً في حين كان نفوذها عظيماً. ولم يصح هذا في أية منطقة أخرى باستثناء أميركا اللاتينية فعلى خلاف تلك المنطقة، كان من الممكن إجراء صفقة حول تواجد ونفوذ الولايات المتحدة فيها دون تدخل مكثف أو احتلال للمنطقة. وقد تمركز اهتمام الولايات المتحدة في المنطقة على تأمين التدفق المجاني للنفط إلى الأسواق العالمية بحيث تؤمن للدول الصناعية الغربية: اليابان، كوريا الجنوبية، أرخص مصدر للطاقة.

لقد اتسع النفوذ الأميركي بفعالية قصوى ودونما كلفة لعدة أسباب:

الأول - أن التهديد السوفياتي المألوف للمصالح الأميركية في المنطقة كان معتدلاً جداً على أغلب مدى فترة الحرب الباردة7.

كما أن بروز قدرات السلطة السوفياتية العادية وتواجدها البحري في المنطقة لم يكن ذا أهمية حتى السبعينيات في الوقت الذي كان للسوفييت حلفاء مهمون في المنطقة مثل العراق والأكثر أهمية مصر وسوريا ولكن هؤلاء الحلفاء كانوا أرِقين من المستشارين السوفييت ودعمهم، وقد كانت علاقاتهم مع السوفييت متقلبة ومتفاوتة، وقد كان كلا البلدين مرتاب من التواجد السوفياتي لديهم وقد وصلت العلاقات بينهم إلى الحضيض عندما أقدم الرئيس المصري أنور السادات على ترحيل المستشارين السوفييت في عام 1972.

وبسبب التهديد السوفياتي العادي في منطقة الشرق الأوسط وكنتيجة للمتطلبات

الضخمة للوجود العسكري الأميركي في مناطق أخرى من العالم - أوروبا، اليابان، كوريا، جنوب شرق آسيا - حظيت أميركا بفرصة ذهبية لتحقيق هدفها في التدفق المجاني للنفط من المنطقة إلى الأسواق العالمية بالاعتماد على بريطانيا للقيام بعملية ضبط الأمن في منطقة الشرق الأوسط[8]...

ولكن عندما تدهور حال الإمبراطورية البريطانية إلى الدرك الأسفل كانت النتائج الحتمية لذلك هامة جداً للولايات المتحدة.

وفي بداية الستينيات اتضح لواضعي السياسة الأميركية أن السلطة البريطانية على العالم قد بدأت بالانحسار. وفي كانون الأول من عام 1965 أخبرت حكومة رئيس الوزراء"هارولد ويلسون" الرئيس"ليندون جونسون" بأن ضعف الاقتصاد البريطاني يحتاج إلى إعادة تسوية موقفها الدفاعي في شرق قناة السويس وترتأي أن نتخلى عن مستعمراتنا في عدن وعن دعمها لشيوخ منطقة الخليج وعن تحملها مسؤوليات حفظ الأمن في المحيط الهندي وسنغافورة. وكنتيجة حتمية للانسحاب البريطاني هذا سرعان ما أصبح هنالك نقص خطير في حفظ الأمن في المنطقة.

وكنتيجة لذلك التفتت أميركا إلى ما سمته إدارة جونسون بسياسة الدعامتين، إيران والمملكة العربية السعودية، لحفظ النظام في منطقة الخليج عقب الانسحاب البريطاني[9], فأصبحت حماية المصالح الأميركية في الخليج تعتمد عليهم إلى حد كبير، رغم أن دولاً أخرى مثل إسرائيل كانت هامة أحياناً أيضاً كما في حالة كبح الأهداف التوسعية الناصرية. وفي عام 1966 أثناء اجتماع مع الملك السعودي"فيصل" وعده الرئيس"جونسون" بمساعدة عسكرية ضخمة وبدأ بذلك تعاون أمني حميم بين الدولتين. أما إيران فقد كانت الجائزة الحقيقية تبعاً لعدد سكانها الكبير الذين يتمتعون بمهارات عالية ولديها ثروة نفطية واقتصاد متطور نسبياً ولم تكن المملكة العربية السعودية بالقوة ذاتها التي بدت لإيران. ولهذا نشأت علاقة دفاع متينة ومثمرة مع شاه إيران وتقاسمت معه بعضاً من صناعة الأسلحة المتطورة. لقد كان الشاه حليفاً وفياً للولايات المتحدة الذي استخدم سلطته للارتقاء بالمصالح الأميركية وتقديمها على ما سواها والتي كان أهمها

إلغاء التدخل السوفياتي. وبصفته شريفاً أميركياً بالنيابة لم يتوان الشاه عن القيام بأي فعل لصالح الأميركيين. ففي عام 1973 مثلاً أرسلت إيران 1200 من قوات الكوماندوس(الفدائيين المغاوير) إلى محافظة ظفار في عُمان لقمع ثورة يدعمها السوفييت. ولكن هذا الوضع الذي أسعد أميركا انتهى بشكل مفاجئ مع الثورة الإيرانية في عام 1979.

ولم تعد أميركا تطلق تسمية الدعائم على حلفائها ولكن وجودها في المنطقة اعتمد على ثلاثة دعائم من الشرق الأوسط، كانت الدعامة الأولى تركيا التي كانت حليفاً قوياً لأميركا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية عندما ساعدت أميركا أنقرة في مقاومتها للضغوط السوفياتية على المقاطعات التركية الشرقية"كارس" و"أردهان" التي ادعت موسكو أنهما روسيتان. وكان الاتحاد السوفياتي يريد إنشاء قواعد له في تركيا والتخلي عن معاهدة"مونترو" التي تتحكم بالعبور السوفياتي عبر المضيق. إن الدعم الأميركي لتركيا ساعدها في مقاومة تسلط "ستالين" وقبوله في حلف الناتو في شباط من عام 1952 مما زاد تركيا صلابة. وأضافت أميركا لها دعامتين في الوقت نفسه وهما إسرائيل ومصر لتعزيز وضع الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط. وقد توطدت العلاقات الأميركية الإسرائيلية بعد حرب 1967 وكان العامل الأهم في ذلك هو رغبة أميركا في أن تجعل من إسرائيل الحصن الذي يقيها من السوفييت. وقد أظهرت إسرائيل قوتها العسكرية - الذي كان أمراً قيماً بالنسبة للولايات المتحدة - عندما هزمت دولتين حليفتين للسوفييت واستولت على المنطقة الواقعة بين قناة السويس وضواحي دمشق. وقد ازداد الموقف أهمية بعد سقوط السلالة البهلوية الحاكمة في إيران. وقد زال التوتر الذي كان قائماً في العلاقات بين"آيزنهاور" و"كنيدي" على مدى سنوات بشأن البرنامج النووي الإسرائيلي عندما قبلت واشنطن بشكل ضمني إسرائيل كدولة نووية[10]. وقد تبنت كلا الدولتين سياسة(لا تسأل.. لا تجيب) عندما يتعلق الأمر بالموضوع النووي.. فتمت تهيئة الوضع تماماً لإقامة علاقات وطيدة دامت إلى يومنا هذا.

لقد كانت مصر حليفاً لأميركا منذ منتصف السبعينيات وذلك لحاجة القاهرة إلى

المساعدات الاقتصادية والعسكرية الأميركية لتؤمن لها الاستقرار في نظام حكمها ولكي تستفيد من أثر واشنطن بالغ الأهمية في ممارسة الضغوط على إسرائيل.

كما أن مصر ذات اعتبار استراتيجي هام لأميركا بسبب سيطرتها على قناة السويس وتزعمها للعالم العربي ودورها في تعزيز علاقات السلام بين إسرائيل والدول العربية المجاورة لها.

لقد كان انتزاع مصر من السوفييت نصراً عظيماً للولايات المتحدة على مستوى السياسة الخارجية أثناء الحرب الباردة. وحافظت مصر على قيمتها بعد الحرب الباردة لدى الولايات المتحدة التي داومت على حمايتها من كل الانتقادات التي يتم توجيهها إلى الوضع الديمقراطي فيها.

وفي الستينيات وأغلب السبعينيات بدا أن المصالح الأميركية تدعمها خمس دعائم صلبة في الواقع. وكنتيجة لذلك لم يكن هنالك ضرورة لوجود عسكري أميركي واسع كشكل من التزاماتها مع حلف الناتو فيما يتعلق بانتشارها العسكري، ومع اليابان وكوريا وتورطها في أراضي جنوب شرق آسيا.

ومع تناقص التهديد السوفياتي في المنطقة أصبح من الممكن الاعتماد على الأعمدة الخمسة لإعطاء الأولوية للمصالح الأميركية وحمايتها، ولكن الولايات المتحدة لم تعد قادرة على تحمل نفقات الاعتماد على حلفائها لحماية موارد النفط حينما ازداد التهديد السوفياتي في نهاية السبعينيات مع تزايد القدرات السوفياتية وتوسعها في القرن الإفريقي وغزوها لأفغانستان، وعندما ترافق هذا كله مع سقوط الشاه بدا وكأن ميزان القوى قد انقلب ضد الولايات المتحدة.

ولتحسين هذا الوضع طورت إدارة كارتر"قوة الانتشار السريع" وهي السلف الأول للقيادة المركزية الأميركية الحالية التي تمنح الولايات المتحدة القدرة على نقل قوة عسكرية خفيفة إلى منطقة الخليج لحماية حقول النفط[11]. وأن توسع هذه القدرة في الثمانينات - بإضافة قوات أرضية ثقيلة ومعدات بحرية وجوية - كان مؤشراً على امتلاك الولايات المتحدة قدرة هائلة على التدقيق بالتوسع السوفياتي أو الإيراني في منطقة الخليج. إن

القوة العسكرية الأميركية هي وحدها القادرة على حماية مصالحها لمواجهة التهديد السوفياتي، وقد أدركت الولايات المتحدة في الآن ذاته قيمة حلفائها في المنطقة ولهذا عززت تسليح الأعمدة الأربعة التي بقيت لها.

لقد كانت الولايات المتحدة قادرة على حماية مصالحها الاستراتيجية الضخمة في منطقة الشرق الأوسط لأغلب فترة الحرب الباردة بالاعتماد على الدول الأخرى. وقد كانت هذه الحالة إيجابية إلى حد كبير بالنسبة للولايات المتحدة لأن هذا أتاح لها الفرصة لوضع مزيد من القوة العسكرية في أوروبا وآسيا حيث كان يتعاظم التهديد السوفياتي هناك. ولكن قلة الوجود الأميركي الجوهري في منطقة الشرق الأوسط وتواجد الاتحاد السوفياتي كنظير منافس لها أعاق التخلص من أعدائها في المنطقة وحال دون ممارسة ضغوط كبيرة على تلك الدول بهدف تغيير سياساتها الداخلية، واقتصادياتها ومجتمعاتها.. ولكن ظروف السياسات العالمية تغيرت وأصبح العالم مختلفاً الآن، فالفرص التي ضاعت في عهد الحرب الباردة قد تزهر الآن.

2 - توسيع السيطرة الأميركية في منطقة الشرق الأوسط:

لقد منح الاتحاد السوفياتي بتبدده للولايات المتحدة اللحظة الخالدة كي تصبح القطب الوحيد. يشرح هذا القسم في هذه الدراسة لماذا أصبحت الظروف مؤاتية للولايات المتحدة لتوسيع سيطرتها في منطقة الشرق الأوسط في حين تتابع حماية مصالحها في فترة الحرب الباردة: ضمان مخزون النفط في العالم وحماية حلفائها في المنطقة من أية تهديدات خارجية. وسوف نقدم هنا أيضاً الأساس المنطقي الذي يجعل الولايات المتحدة تفعل ذلك.. وأخيراً، سوف نناقش المصالح الأميركية المحددة في هذه المنطقة.

تتربع الولايات المتحدة على قمة نفوذها في السياسات العالمية لثلاثة أسباب:

1. الموقع الفريد الذي اتخذته السيطرة الأميركية على النظام الدولي.
2. وجود حلفاء لها في المنطقة.
3. القوة العسكرية الأميركية والهيئات الاستخباراتية.

أولاً - منذ انتهاء وجود الاتحاد السوفياتي لم يعد لأميركا نظير منافس في النظام الدولي، ومن المؤكد أنه سينشأ لها منافسون جدد في المستقبل وعلى الأرجح أن تكون الصين التي سوف تستخدم قوتها ضد المصالح الأميركية.. ولكن على المدى المنظور - خلال عشرين عاماً قادمة - فإن الولايات المتحدة سوف تهيمن على النظام العالمي دون أن يكون هنالك ما يعادل قوتها. وللتأكد من ذلك فإنه من الممكن وجود أشكال أخرى من الوحدات المناهضة للولايات المتحدة مثل الاتحاد الذي تم بين الدول الأوروبية الأربعة: بلجيكا، فرنسا، ألمانيا، ولكسمبورغ عندما قررت الهجوم العسكري على العراق. وهذا المثال توضيح لما نريد قوله بالتحديد، إذ أن هذا الائتلاف لم يكن بالقوة الكافية لمنع أميركا من الإقدام على ما كانت ترغب القيام به. إن ائتلافاً هشاً من هذا القبيل قد يتطور في المستقبل انطلاقاً من الاستياء الملموس لعدد من البلدان مع نهج الأفعال التي تقوم بها الولايات المتحدة ولكن النتيجة الفعلية ستكون نفسها.

ثانياً - إذا دقق المرء في حلفاء أميركا في المنطقة فسوف نجد أن العديد من البلدان تساند الولايات المتحدة، والدعائم التي أقامتها الولايات المتحدة في نهاية الحرب الباردة وهي: مصر، إسرائيل، المملكة العربية السعودية، وتركيا.. مازالت قائمة. وإضافة إليها فإن العديد من الدول الأصغر الواقعة بين المغرب والخليج هي أيضاً متحالفة مع الولايات المتحدة. لذا فإن الأردن حليف موثوق وكذلك المغرب. وهذا يؤمن للولايات المتحدة أساساً قوياً في المنطقة تمارس من خلاله نفوذها داخل وخارج الشرق الأوسط. ومن بين جميع دول منطقة الشرق الأوسط تبقى إيران وسوريا فقط خارج مدى النفوذ الأميركي.

لقد كشفت الحرب على العراق أن هنالك توتراً شديداً في العلاقات الأميركية مع السعودية وتركيا، وهذا مدعاة للقلق ولكن ينبغي عدم المبالغة في أهميته بأية حال. تدرك أميركا تماماً أن الشعب السعودي يزداد تطرفاً وعداءاً للأميركان. كما أن السعودية تدعم جماعات مثل حماس التي تنفذ الهجمات الإرهابية في إسرائيل ولم تبدِ أي تعاون مع مكتب الاستخبارات الفدرالي في تحقيقاته في تفجيرات مباني الحرس الوطني السعودي ومباني الخبر في عامي 1995 و1996 على التوالي وبعد عام 1995 بدأت تعاونها مع تنظيم القاعدة كرشوة لها مقابل عدم مهاجمة المملكة العربية السعودية أو مصالحها. ولكن التنظيم أظهر أن لا طائل منه كما برهن على ذلك بتفجيرات المجمعات السكنية في الرياض في شهر أيار من عام 2003 إضافة إلى اعتقال ثلاث رجال في الشهر نفسه وهم يخططون لاختطاف طائرة وتحطيمها على البنك التجاري الوطني في جدة12. وكذلك أيضاً رفضت السعودية الطلب الأميركي بسحب طائراتها المقاتلة F-155 من قاعدة تبوك الجوية القريبة من حدود إسرائيل. وقد حشدت السعودية هذه المقاتلات إلى القاعدة الجوية في تبوك قبل البدء بعملية تحرير العراق إذ تذرعت بأنها لحماية السعودية من أي هجوم عراقي رغم أنه كان بعيداً عن الاحتمال إلى أقصى حد أن تتسلل أية طائرة عراقية دون يقظة المقاتلات الأميركية لها هذا إن كانت أساساً قادرة على شن غارة. والأمر المهم هنا أن الولايات المتحدة قد نقلت قواعدها من السعودية وراحت تبحث بحذر عن مصادر بديلة لتزويدها بالطاقة مثل كندا وبلدان وسط آسيا، روسيا، المكسيك،

نيجيريا وبلدان أخرى ومنها التزويد المحلي من الولايات المتحدة نفسها. ولكن الحقيقة الواقعية ببساطة هي أن لديها (264.2 بليون برميل) من مخزون النفط المؤكد - وهذا يشكل ربع مخزون النفط في العالم - وربما واحد تريليون برميل من النفط القابل للتعويض ومع أرخص التكاليف الإنتاجية وأسهل وصول إلى البحر بهدف الشحن، ولهذا فإن المملكة العربية السعودية هي أهم عامل في أسواق النفط العالمية.. وهي أقوى مؤثر على خفض أسعار النفط في الأسواق العالمية13، كما أنها المورد الموثوق منذ عام 1933 مع استثناء واحد ما بين عامي 1973-1974 كمعاقبة لأميركا على دعمها لإسرائيل في حرب 1973. ورغم الصعوبة فلابد من استمرار العلاقة مع السعودية بسبب المصالح المشتركة لكلا البلدين.

ومع ذلك، سنجد في التحليل التالي أن وجود حكومة مؤيدة لأميركا في العراق سيسمح لأميركا بإجراء تعديلات جذرية في السعودية في حال حدوث أسوأ ما يمكن وهو نشوء حكومة معادية لأميركا في الرياض.

لقد تلقت تركيا توبيخاً من الولايات المتحدة لعدم سماحها بعبور فرقة المشاة الرابعة في أراضيها فأخرت بذلك فتح الجبهة الشمالية في حرب العراق. وهذا ما دعا نائب وزير الدفا ع الأميركي "بول وولفويتز" إلى تسمية القرار التركي بأنه خيبة آمل كبيرة وقد عبر العديد من المعلقين بصراحة عن أن العلاقة بين البلدين أصبحت في حدها الأدنى14. ويتضح من تعليقات "وولفوتيز" أن الحزب الحاكم في تركيا يرتاب من واشنطن ولكن قد لا يكون هذا هو رأي الجنرالات الأتراك. وفي تموز 2003 احتجزت القوات الأميركية واستجوبت لمدة 60 ساعة أحد عشر عضواً في فرقة مغاوير تركية في السليمانية شمالي العراق. كان قد تم الاشتباه بهؤلاء المغاوير أنهم متآمرون في مهمة لقتل حاكم كردي ولتقديم العون لأفراد الجبهة التركية - التركمانية المعارضين للأكراد. ومع ذلك ترى واشنطن أن العلاقات قد تحسنت عندما قرر الأتراك في تشرين الأول 2003 المساهمة في إرسال قوات لحفظ النظام في العراق ضمن قوات متعددة الجنسيات.

على الرغم من المشاكل المنظورة فإن العلاقات بين البلدين أمر هام جداً لمسائل

الحاضر والمستقبل المتعلقة بالماضي. فهناك تشابه في المصلحة ما بين واشنطن وسماسرة السلطة التركية المهتمين باستقرار الوضع في العراق، والتهديد الذي تشكله إيران لجهة مجابهة الإرهابيين سواء كان هؤلاء من تنظيم القاعدة أو من حزب العمل الكردستاني أو من مجلس الحرية والديمقراطية في كردستان، فضلاً عن حاجة تركيا إلى العون الأميركي لتحقيق أهدافها في السياسة الخارجية كقبول تركيا في الاتحاد الأوروبي مع المحافظة على حالة انقسام الجزيرة القبرصية، ولهذه الأسباب جميعها سيبقى التوافق الأميركي التركي حميماً ولن يحصل فراق بينهما.

ثالثاً - إن القوة العسكرية للولايات المتحدة متفوقة وهذا لن يتغير على المدى القريب لأنه لن يكون هناك قوة عظمى أخرى أو ائتلاف لقوى عظمى بالقدرة الكافية للتعادل مع القوة العسكرية للولايات المتحدة. ولتوثيق عرى القوة العسكرية الأميركية أعلن وزير الدفاع "دونالد رامسفيلد" ومساعدوه عما يُعرف الآن باسم مبدأ رامسفيلد[15] من أن جوهر القوة العسكرية الأميركية هو استخدام قوى مشتركة خفيفة وأسهل حركة في الحرب تدعمها المعلومات الاستخباراتية وقدرات القيادة والسيطرة بما في ذلك مضاعِفات القوة مثل الأجهزة الفضائية والطائرات غير المأهولة. وقد شرح "رامسفيلد" ذلك للجنود المتواجدين في بغداد عقب الحرب على العراق قائلاً: "إننا لسنا بحاجة لأن نسرع على أقدامنا.. إن ما نحتاجه هو إنجاز الأشياء خلال ساعات وأيام بدلاً من الأسابيع والأشهر.. وبأقل قدر من آثار أقدامنا على الأرض[16]" وقد كرر هذا المعنى نفسه قائد القوى المشتركة الجنرال "ريتشارد مايرز" فقد أكد على أن هذه الطريقة الأميركية الجديدة في الحرب فيها قوات مشتركة مرنة الحركة قادرة على رؤية الأعداء والتخطيط والتصرف وتقييم حالة ساحة المعركة بأسرع من ذي قبل[17]. ونتيجة لذلك فإن التأخر الزمني الذي كان مرتبطاً بمعرفة مصدر إطلاق النار والذي كان يستغرق ساعات أو أيام في عملية عاصفة الصحراء تناقص إلى دقائق اليوم. والمثال الشهير عن قاذفات القنابل B-IB التي هاجمت مركز قيادة المنصور أثناء عملية تحرير العراق هي نموذج أصلي الآن. عندما تلقت عناصر الاستخبارات دلالة على اجتماع قيادة النظام تم توجيه الطائرة

وتنفيذ الهجوم خلال 38 دقيقة فقط[18]. إن هذه القدرة ذات تأثير هام للغاية لأنه لم يكن أحد خارج نطاق الحدث أو أن هذه المقدرة الخاصة قد تم إفرادها لأهداف القيادة ذات الأهمية القصوى. وقد ذكر أن القوات الجوية للائتلاف قد ضربت أكثر من 500 هدف كنتيجة لإعادة تحديد الأهداف وهي في الجو[19]. إن تواصل المعلومات الاستخباراتية والإشراف والمراقبة والاستطلاع كلها كانت قدرات ذات تأثير عميق للغاية حتى أثناء العواصف الترابية حيث لم يتمكن العراقيون من الاختباء من خطط الاستخبارات والمراقبة والاستطلاع مثل مركز الاتصال المشترك (U-2, RC-135) والنظام المشترك بالاستعانة بمسح الرادار للهجوم على الأهداف (E-8C) بالإضافة إلى عشرة أنواع من الطائرات غير المأهولة التي تم استخدامها في تلك الحرب.. وكنتيجة لإنهاء التأخر الزمني والقدرات المتميزة في الاستخبارات والمراقبة والاستطلاع تكون القوات الأميركية قادرة على دخول حلقة اتخاذ القرار عن الأعداء والخصوم وبهذا تتمكن القوات الأميركية من إفساد خطط الأعداء وجعل الصراع في حالة حياد. وعلى حد قول "مايرز": "إن جوهر الطريقة الأميركية في الحرب هي القدرات الخدمية التي أصبحت أفضل بكثير من خلال الفريق المشترك وازدادت مقدرة بحلقة اتخاذ القرارات المعتمدة على القيادة والسيطرة، المعلومات الاستخباراتية، الإشراف والمسح الشامل، هذه الحلقة التي أثبتت سرعة قصوى وخفة في الحركة. وبهذا نستطيع أن نكون دوماً داخل عقدة اتخاذ القرار لخصومنا" حتى لو كان يحاول بذلك تهيئة المجال لتغيير المحيط[20]. لقد حل تعبير فضاء المعركة محل تعبير ساحة المعركة إذ أن الاشتراك بين المجال الجوي والأرضي والبحري والفضائي أصبح ارتباطاً وثيقاً للغاية ويسمح باستخدام تشكيلات أصغر يمكنها أن تستخدم قوة مبيدة أو غير ذلك بأسرع ما يمكن وبشكل منظم حيث يتحكم بها نظام ضبط ومراقبة ديناميكي ومرن. وبسبب المزايا العميقة التي تتمتع بها الولايات المتحدة في مجالات الاستخبارات، الاتصالات، الأسلحة، المبادئ المشتركة، التدريب، القوة البشرية، أمكن للمرة الأولى مهاجمة مركز الأعداء مهما عظمت خطورته بدقة وبسرعة وبشكل مباشر مع تجاهل قواته والإنقاص من عدد الإصابات للأميركيين والأعداء وللأطراف غير المتحاربة.

لقد ترافقت القدرات العسكرية الأميركية الحديثة في الواقع مع حالة اللاتوازن للقوى العسكرية بينها وبين الدول المنافسة مما سمح لها بالتخلي عن الطريقة الأميركية التقليدية في الحرب. وقد عرّف هذا المؤرخ العسكري "روسيل ف. ويغلي" على أنها استراتيجية الإنهاك الموجهة ضد العدو وقواته العادية بهدف إبادتها.

وقد تبنت هذه المقاربة القيادة العسكرية الأميركية بكل قممها: فالبذور التي بذرها "واشنطن" أزهرت تماماً عند "غرانت" "لي" و"آيزنهاور"[21]. لقد كانت الطريقة الأميركية القديمة في الحرب تفتقر إلى المرونة وتتطلب كماً هائلاً من تعبئة الكادر البشري والموارد وتؤدي إلى إصابات ضخمة للصديق والخصم وبين المدنيين.

يقدم غزو العراق الدليل على جدوى المقاربة الحديثة فعقب عملية تحرير العراق مباشرة أشار قائد الفيلق الخامس في الجيش الأميركي الفريق "ويليام والاس" إلى قدرات القوى الأميركية بعد انتهاء المعارك فقال: "لقد كانت القوات العراقية تستغرق زمناً طويلاً قد يصل إلى 24 ساعة للرد على أي شيء نفعله" وعزا ذلك إلى التفوق العظيم للقدرات الأميركية وتابع قائلاً "في الوقت الذي كان يدرك فيه العدو ما فعلناه كان يصدر الأوامر لقادته وبالفعل كانوا يقومون بشيء ما إزاء ما فعلناه ولكن في وقت نكون فيه قيد إنجاز فعل آخر مختلف" كما أن "والاس" يلخص ببراعة ودقة رضاه عن الوضع" إن هذا شيء جيد بالنسبة للقائد.. وهو أن تحارب عدواً غير قادر فعلياً على الرد عليك"[22]. لقد كانت النتيجة الحتمية للقدرات العسكرية الأميركية المتميزة الانهيار السريع للقوات العراقية والذي قاد بدوره إلى انهيار النظام في حين كانت الإصابات سواء من الجانب الأميركي، أو الائتلاف، العراقيين العسكريين أو المدنيين في حدها الأدنى وكذلك الضرر الذي لحق بالبنى التحتية في العراق. والأكثر من ذلك هو تحطيم القدرة العراقية على الثأر من الولايات المتحدة وإسرائيل والمملكة العربية السعودية وتركيا أو دولٍ أخرى.. ومع اعتراف "فون مولتك" بأهمية الحظ في الحروب إلا أنه قال إن الجيوش هي التي تصنع حظها بنفسها.. وهذا هو الذي حدث في عملية تحرير العراق.. لقد سارت أغلب الأمور لصالح الولايات المتحدة في حملتها العسكرية بسبب قدراتها الاستخباراتية والعسكرية

والتدريب والتخطيط ومهاراتها الدبلوماسية والنوعية المميزة لأفراد الخدمة العسكرية الأميركية.

بالطبع لابد من سماع انتقادات هامة مع كل حرب وكان هذا بشكل خاص من ضباط الجيش المتقاعدين والنقاد الذين قالوا بأن المساحة الأرضية كانت صغيرة جداً مما أعاق القدرة على حماية نقل الجند وإيوائهم وتموينهم والقوات المساندة لهم أثناء الحرب كما أعاق قمع عمليات السلب والنهب والأفعال الجرمية التي حدثت عقب الصراع. كما أن الجنرال المتقاعد "باري د. ماكفري" القائد السابق لفرقة المشاة الرابعة والعشرين في حرب الخليج الأولى.. علق قائلاً أثناء عملية تحرير العراق: "بتقديري كان ينبغي على الأقل وجود فرقتين كبيرتين مدرعتين وكتيبة مسلحة من الفرسان على الأرض فهذا هو ما نعرفه في مبادئنا"23.

كانت الانتقادات حادة بشكل خاص لأن إمدادات الجيش الأميركي كانت تتعرض لهجمات من كمائن لا منتظمة تعدها القوات العراقية.. كما أن العواصف الرملية أعاقت أيضاً إعادة إمداد الجيش بالمؤونات.. ومن حسن الحظ أن كل هذه الإعاقات مجتمعة لم تكن قادرة على إيقاف تقدم الجيش الأميركي. ويبدو أيضاً أن مبدأ المساعدات الإدارية الذي مفاده "في الوقت المناسب فقط" قد كان مجدياً عموماً.

ومع جميع التحسينات التي أجريت بعد حرب 1991 فإن انتشار الجنود أثناء تحركاتهم لتعقب آثار النظام سمح بتأمين الإمدادات في مواقع كافية.. ولكن ما يزال هنالك صعوبات والتي تكون عادة موجودة في كل حملة بدءاً من عبور الجيش الثالث Patton في فرنسا وانتهاء بمرور كتيبة المشاة الثالثة من الكويت إلى بغداد.. وفقاً لما قاله نائب القائد العام للمساعدات الإدارية أثناء الحرب العميد قائد اللواء الأميركي "فنسنت بولز" الذي أشار إلى أن متابعة تقدم القوات بسرعة ما يزال مشكلة فقال: "إن المئة كيلومتر الأخيرة المتبقية مازالت أمراً شاقاً"24.

وانعكاساً لهذا فإن الخطر الذي واجه العدد القليل من العناصر الأميركية التي كانت على الأرض يعتبر أمراً مقبولاً.

ولكن المخططون في البنتاغون ربما ينفرون من تكرار غزو مماثل في المستقبل لأنهم يعتبرون إنهم قد نجوا هذه المرة.. وأن كل الهفوات قد مضت في حال سبيلها..وفي حين كان ينبغي ألا تخضع النتائج لأي شك أو احتمال فإن مجموعة القوى الكافية تساعد في التقليل إلى أدنى حد من المخاطر التي يتعرض لها الجنود، البحارة، المعدات البحرية، وكادر الطيران في آدائهم لواجباتهم.



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

II-A- ما الذي يدفع بالولايات المتحدة إلى ممارسة نفوذها في منطقة الشرق الأوسط:

يناقش هذا الجزء قضية هامة جداً ومعيارية.. وهي ما الذي يدفع بالولايات المتحدة إلى ممارسة نفوذها في هذه المنطقة لإحداث تغييرات فيها. يبدأ هذا مع ملاحظتنا إلى أن الولايات المتحدة سلطة إمبراطورية وهذا بحد ذاته جزء حاسم وعميق مما يجعل الولايات المتحدة بلداً متميزاً بالفعالية والنشاط. إن السرعة في توسع الولايات المتحدة من مجرد ثلاث عشر مستعمرة في عام 1776 إلى دولة مسيطرة على دول أخرى على مدى مئتي عام يعتبر أمراً مذهلاً، والجانب الكبير من تفسير هذا التوسع يكمن في إدراكنا إلى أن الولايات المتحدة ذات طموحات إمبراطورية منذ زمن طويل وأن حلمها بأن تصبح إمبراطورية قد بدأ يتحقق[25]. إن الرغبة في نشر العقائد والفكر الأميركي دب الحياة في السياسة الأميركية والشخصيات السياسية منذ سنوات بعيدة. وقد لخص "توماس باين" هذه الروح قائلاً: "من مجرد شرارة صغيرة توهجت في أميركا اتقد اللهب الذي يبدو وكأنه لن يخمد.. ودون أن تذوي تعصف بتقدمها من بلد إلى آخر وتُخضع البلاد بعمليات صامتة" عندما يعرف الإنسان حقوقه، يتحرر وينتهي الطغيان والاستبداد "لأن قوة الطغيان إنما تنشأ من خشية مقاومته"[26].

ولكن انتشار لهب العقائد والمبادئ الفكرية الأميركية من خلال ما أسماه "باين" العمليات الصامتة لم يكن يوماً كافياً لتدمير من يعتبره القادة الأميركان طغاة".

القليل من الأميركيين هم الذين يدركون كيف توسع بلدهم تاريخياً وفي الواقع أنه حتى قبل إعلان استقلالها تمنت أميركا امتلاك كندا وحاولت السيطرة عليها.

وفي عام 1775 أمر رئيس الكونغرس "دون هانكوك" الجنرال "فيليب شويلر" أن يغزو مونتريال[27] وقد فشلت هذه المحاولة مثل غيرها فيما بعد. إن الرغبة في غزو البلاد والاستيلاء عليها ليس ولعاً خاصاً بأبناء الولايات المتحدة (اليانكيين) وإنما كان لدى

الولايات المتحدة الأميركية طموحات في منطقة البحر الكاريبي وأغلب مناطق أميركا اللاتينية بعد انتهاء الحرب الأهلية. ومع انعكاس الأوضاع الحالية يتساءل المرء كيف ستكون التقسيمات السياسية في نصف الكرة الأرضية الغربي اليوم.. ولكن مهما يكن فإن أميركا مازالت تحتاج إلى وقت طويل لتوافق بين طموحاتها وقدراتها.

وبرغم ذلك.. ومن خلال قابليتها للسقوط في سنينها الأولى والمحن الكثيرة، فإن توسعها وارتقائها إلى مكانتها الحالية في السياسات الدولية ربما كان ناشئاً عن رغبتها بالغزو والتوسع ونشر قيمها. وتوافر لها عنصران إضافيان: ضعف الدول المجاورة لها أمر هام لابد من الاعتراف به، وصرف انتباه الدول الأوروبية العظمى التي كانت تمتلك القدرة على الحد من التوسع الأميركي ولكنها لم تفعل.

رغم وجود إمبراطورية غير رسمية في الولايات المتحدة إذ أنها تتحكم بالقوى الأصغر إلى حد كبير دون احتلالها مباشرة. إن أصحاب القرار في أميركا محقون حينما لا يلفتون الانتباه إلى هذا لأن ذلك فقط سوف يزيد من توازن القوى المضادة لها وهذا بالتالي سيؤدي إلى الهزيمة..

لابد للولايات المتحدة أن تتوخى الحذر وأن تتبع نصيحة السياسي الفرنسي "ليون جامبتا" الذي كتب عن المقاطعات الفرنسية التي يحتلها الألمان الألزاس واللورين حين قال إنه "من واجب الفرنسيين التفكير دائماً بهذه الأراضي الفرنسية ولكن يجب ألا يتحدثوا عنهم إطلاقاً" وهذا ما ينبغي بشأن الامبراطورية الأميركية والسياسة الخارجية إذ يجب التفكير دوماً بكيفية التوسع والحفاظ على ما يتم ولكن مع عدم الإعلان عن ذلك والتبجح به بلا مسوغ.

إن لدى الولايات المتحدة أشكالاً صحيحة من القيم، الديمقراطية، المبدأ الفردي، اقتصاديات الأسواق الحرة، كما أن لديها القدرة على فرضها واستغلالها ولكن يجب أيضاً أن تتوفر لديها الشجاعة الكافية لذلك.. ولحسن الحظ أن إدارة بوش الحالية تتمتع بهذه الميزة فقد شرح الرئيس بوش في شهر آيار عام 2003 لماذا تسعى الولايات المتحدة إلى توسيع سيطرتها على منطقة الشرق الأوسط عندما أعلن أن "الولايات المتحدة ملزمة

باستخدام نفوذها ومثاليتها كي تستبدل الضغائن والأحقاد القديمة بآمال جديدة في منطقة الشرق الأوسط"[28].

في حين قوبل هذا البيان ببعض الشك والابتسامات الساخرة من رئيس الخبراء السابق لشؤون الشرق الأوسط إلا أنه ينسجم تماماً مع ما تبديه إدارة بوش منذ إعلان مبدأ بوش عن سياسة الدولة في الأول من حزيران عام 2002 في الأكاديمية العسكرية الأميركية في "ويست بوينت" والذي أصبح فما بعد بنداً في "استراتيجية الأمن القومي لأميركا" الذي نُشر في أيلول عام 2002، وفحوى هذا المبدأ هو استخدام السلطة والقوة الأميركية لحماية مصالحها والحفاظ على هيمنتها ونشر المبادئ الأميركية ومع أن إدارة بوش قد لا تكون ناجحة في كل المقاييس، إلا أنها عازمة على زيادة الوجود الأميركي في منطقة الشرق الأوسط إلى حد جديد وأكثر بكثير مما كان عليه خلال فترة الحرب الباردة.

توجد ثلاث عقائد رئيسة في مبدأ بوش:

أولاً - يفترض كمبدأ مسلم به أن الولايات المتحدة لم تعد قادرة على الاعتماد على منع انتشار القوة وسياسة الردع كما فعلت أثناء فترة الحرب الباردة للتعامل مع التهديد الذي كان يشكله الاتحاد السوفياتي.. وإنما ينبغي عليها الآن إجهاض أي تهديد "ومباغتة العدو بالمعركة وإفشال خططه ومجابهة أسوا احتمال للتهديد قبل أن ينبثق[29]" إن العمليات الإجهاضية ضرورية لأن الدول الضعيفة والإرهابيين لديهم القدرة على شن هجمات ضد الولايات المتحدة تؤدي إلى كوارث. وفي حين لا يوجد أدنى شك أن العمليات الإجهاضية أمر محفوف بالمخاطر إلا أنها أقل خسارة من أن يقع حدث أكبر شراً.

بعد نجاح غزوه للعراق، أكد بوش مرة ثانية على ضرورة مجابهة الإرهابيين والدول التي تشكل خطراً. وفي 1 آيار 2003 وعلى متن حاملة الطائرات الأميركية "أبراهام لنكولن" أثناء عودتها من مشاركتها في عملية تحرير العراق قال الرئيس بوش: "إن كل شخص، أو منظمة أو حكومة تدعم وتحمي أو تأوي الإرهابيين تعتبر شريكاً في قتل الأبرياء ويكون ذنبها مماثلاً لجرائم الإرهابيين، كما أن أي نظام خارج عن القانون وتربطه صلات قوية بجماعات إرهابية ويسعى لامتلاك أسلحة الدمار الشامل فإننا

نعتبره خطراً حقيقياً يحيق بالعالم المتحضر وسوف تتم مجابهته"[30].

ثانياً - سوف تفعل الولايات المتحدة كل ما هو ضروري لتبقى القوة العظمى الوحيدة في العالم.. وقد قال بوش بصراحة:" إن أميركا تمتلك قوة عسكرية لا تقبل التحدي وسوف تحافظ عليها[31]". وبامتلاك هذه القوة تستطيع الولايات المتحدة أن تفرض السلام في كل مكان.

"إنها تجعل سباق الأسلحة الذي يهدف إلى زعزعة الاستقرار أمراً تافهاً وتضع حدوداً للمنافسات التجارية وتسعى بكل وسيلة نحو السلام"[32].

ثالثاً - سوف تبذل الولايات المتحدة كل جهد لفرض مبادئها في السياسات الدولية. لقد قدم الرئيس بوش في عام 2002 في خطابة الافتتاحي جدول أعماله الذي يعتبره قيد التنفيذ... سوف تسعى الولايات المتحدة فقط إلى توسيع آفاق السلام في السياسات العالمية بأن" تلغي الفقر والشقاء والقمع والخضوع والاستياء في كل أنحاء العالم" وتستبدل هذا كله"بنموذج واحد من التقدم البشري". وبالنسبة لبوش يرتكز هذا على المبادئ التالية: احترم الكرامة البشرية، احترام القانون، الحد من سلطة الدولة، احترام النساء والملكية الخاصة، حرية التعبير عن الرأي، العدالة والمساواة، التسامح الديني.. فهذه الأمور جميعاً أموراً عالمية وغير قابلة للتفاوض:" إن متطلبات الحرية تنطبق تماماً على أفريقيا، أميركا اللاتينية، والعالم الإسلامي كله لأن شعوب الأمم الإسلامية تريد وتستحق الحريات والفرص المتاحة لشعوب الأمم الأخرى.. وينبغي على حكومات العالم الإسلامي أن تصغي لآمال شعوبها"[33].

إن التأكيد على منطقة الشرق الأوسط واضح تماماً في تصريح الإدارة الأميركية. لقد تمت تهيئة أميركا اللاتينية بشكل كبير لتتوافق مع مبادئ أميركا. ويشك المرء بأن إيراد اسم أفريقيا في الخطاب كان على سبيل اللغة المنمقة البعيدة تماماً عن الصدق بالنظر إلى قلة أهمية أفريقيا نسبياً بالنسبة لهذه الإدارة[34] وبعد عام تقريباً عند تحقيق النصر أدلى بوش بخطاب في أيار 2003 احتفالاً بالنصر في العراق وأكد في خطابه على الامتداد نحو العالم العربي:" إن أي شخص في هذا العالم، بما فيه العالم العربي،

يعمل ويضحي من أجل الحرية سيكون له صديقاً موالياً في الولايات المتحدة[35]" وقد أسهب في رغبته بنشر الحرية في منطقة الشرق الأوسط، وقد قال بوش بعد بضعة أيام فقط في خطابه الافتتاحي في جامعة جنوب كارولينا:" إن نشر الحرية في كل أنحاء العالم هو أفضل ضمان له فالحرية طريق نحو السلام[36]" وأضاف بوش أن نشر الحرية في المنطقة هو مسؤولية الولايات المتحدة وسوف تحمل هذا العبء على عاتقها من خلال تطوير الروابط الثقافية والاقتصادية والإصلاح القضائي وتعزيز حقوق المرأة.

إن استخدام القوة العسكرية لتعزيز وضع المصالح والقيم الأميركية ليس هو الشيء الصحيح الذي ينبغي فعله وإنما هو ما تفعله الولايات المتحدة منذ فشل"شويلر" في غزو كندا. ولكن المهم في الأمر هو تدبره ومعالجته بعناية.

إذ ينبغي عدم تطبيق التهديد أو القوة العسكرية دون اعتبار جدي لإعطاء الأولوية للمصالح الاستراتيجية ودراسة نتائج الفشل أيضاً. يشرح"كولن باول" في سيرته الذاتية أن"مادلين ألبرايت" سفيرة أميركا في هيئة الأمم المتحدة في عهد إدارة كلنتون أرادت استخدام القوة العسكرية الأميركية لمساعي اجتماعية.

فهو يكتب قائلاً:" سألتني السيدة البرايت وهي تشعر بالإحباط: ما الغاية من هذه القوة العسكرية الضخمة التي تتحدث دوماً عنها إذا كنا لا نستطيع استخدامها؟.. وشعرت أن الدم يتفجر في عروقي لأن جنودنا الأميركان ليسوا دمى نحركها على أية رقعة في لعبة عالمية[37]".

في الواقع إن القوة العسكرية الأميركية لم يتم تجهيزها لتُستخدم في مساعٍ اجتماعية وإنما يكون استخدامها الأمثل في تقديم المصالح الأميركية على أي أمر آخر وفي تدمير أعداء أميركا.

وبعد تحقيق النصر في العراق تحدث وزير الخارجية الأميركي"كولن باول" عن بيئة استراتيجية جديدة في منطقة الشرق الأوسط على أنها أحد الأشياء الهامة التي يتضمنها هذا النصر[38]... والقوة العسكرية الأميركية هي التي خلقت هذه البيئة.. نحن الأميركيون مهيمنون على العالم وينبغي على الدول الأخرى أن تعتبرنا كذلك.. وأن

التصرف وفقاً لقوة الدفع التي خلقتها أميركا لمواجهة المخاطر الأخرى التي تواجه السيطرة الأميركية سوف يؤكد ذلك.. وفي الواقع أن هذا ما قد تم.

إن الخطوة الرئيسة المتعلقة بتغييرات معالم الشرق الأوسط قد بدأت فعلياً مع عملية تحرير العراق وقد تُعتبر واقعياً كما وصفها"باول" بأنها بيئة استراتيجية جديدة أو من الأفضل اعتبارها زلزالاً إقليمياً أحدث تبديلاً عميقاً في المعالم السياسية للمنطقة. وكنتيجة لنجاح عملية تحرير العراق من الممكن أن تنجذب أميركا إلى إحداث تغييرات في منطقة الشرق الأوسط وينبغي لهذا التغيير أن يكون وفقاً لما يلي:

- يجب أن تمنح الأنظمة المعارضة لمصالح الولايات المتحدة الفرصة في إصلاح مواقفها أو أن تزيلها نهائياً.
- يجب أن تسعى إلى نشر الديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط حيث أنه يمكن تطبيق ذلك دون المساس بالأنظمة الحالية[39].
- يجب أن تسعى الولايات المتحدة إلى إحداث تغييرات في أنظمة الحكم، وتغييرات إقليمية، وتعزيز الديمقراطية التحررية في كل أنحاء العالم.. فكلما ازداد تطبيق الديمقراطية التحررية في العالم كلما ازداد الوضع ملاءمة وسهولة على الولايات المتحدة للمحافظة على سيطرتها على الدول الأخرى. ولكن الأمر الهام جداً هو أن هذه الحكومات تدعم وتحترم مصالح الولايات المتحدة وتبعاً لذلك فإنه إذا حصل توتر بين تطبيق الديمقراطية والحكومات المؤيدة لأميركا مثل الحركة الفرعونية الحديثة حالياً في مصر فعندئذ سيكون الخيار الأفضل بالنسبة للولايات المتحدة هو الحفاظ على حكومة موالية.

في حين أن الولايات المتحدة لم تكن يوماً أقوى مما هي عليه اليوم في منطقة الشرق الأوسط، إلا أن التهديدات ما زالت موجودة.. فقد أعلن عن ذلك موظفون رسميون في الإدارة الأميركية بصورة قسرية ولكن غامضة. لابد من فرض الاستقرار في العراق لأن الفشل في ذلك سوف يعرض الدعم المحلي لأميركا للخطر بالإضافة إلى توسيع نفوذها في المنطقة الذي سوف يتأثر من جراء ذلك. والمرحلة الثانية التي لابد منها هي تغيير نظام الحكم في إيران لتشجيع سوريا على إجراء الإصلاحات.

ثالثاً - يعتبر الإرهاب تهديداً جدياً وهاماً ويرتبط بشكل لا سبيل للخلاص منه مع المشاكل المتعلقة بإيران وسوريا.

وقد أكد موظفون ذوي مقام مرموق في الإدارة الأميركية هذا الأمر.. مثلاً: صرح "ريتشارد تشيني" نائب الرئيس عقب تحقيق النصر في العراق بأن الإرهابيين يسعون إلى امتلاك أسلحة دمار شامل وبأن الدول التي تخرق القانون بدعمها ومساندتها لهم وبأن"الدول المتمردة التي تطور أو تمتلك هذه الأسلحة تشكل تهديداً بالغ الخطورة للأمن القومي لأميركا40".

وأخيراً فإن الأمر الذي يعتبر حاسماً بالنسبة للولايات المتحدة هو أن تضمن أمن إسرائيل حتى ولو كان ذلك على حساب تأجيل إقامة الدولة الفلسطينية.

B-II- جدول أعمال الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط: العراق - قواعد وحكومة موالية لأميركا:

إن النصر الأميركي في العراق حقق للولايات المتحدة مزايا هامة فمن خلال غزو العراق فقط استطاعت أميركا الوصول إلى أهدافها الاستراتيجية في المنطقة.

وقد ناقشت إدارة بوش فكرة تغيير النظام قبل الحرب ورأت أنه أمر ضروري لأربعة أسباب:

1. إن العراق كان يطور أسلحة نووية ومن خلال تقييم معلومات استخباراتية واسعة النطاق استطاعت وكالة الاستخبارات الخارجية للحكومة الألمانية أن تقدّر بأن العراق سيكون قادراً على تطوير سلاح نووي ما بين عامي 2004 و2008، وعقب الحرب بدا أكيداً أن التواريخ الأولى كانت خارج نطاق المناقشة فمع وجود برنامج نووي فإن هذا سيقود في النهاية إلى صناعة السلاح. وأن يصبح العراق بلداً نووياً فهذا يشجعه على غزو الكويت ودول خليجية أخرى وإجبارها على الطاعة.. وسوف يعيق جهود الولايات المتحدة في فرض سيطرتها على المنطقة، وربما يمنح العراق القدرة على تسديد ضربات قاضية على الأراضي الأميركية. وإجمالاً فإنه يمكن أن يثني عزيمة الولايات المتحدة في بعض الأحوال، فكان في غزو العراق تدميراً لبرنامجها النووي.

وبشكل أوسع من ذلك كان في غزو العراق الناجح واحتلاله إزالة لمنشآت الأسلحة الكيماوية والبيولوجية لديه. إن العبرة من التجربة المؤسفة والتي دامت عقداً كاملاً لبعثة الأمم المتحدة من خبراء التفتيش في العراق هي أن بضع مئات من الأفراد لا يمكنهم وقف برنامج أسلحة بالغ التعقيد. إن هذا البلد ببساطة كبير جداً والبرامج معقدة ومتفرقة جداً ووكالات الاستخبارات العراقية فعالة جداً في تدخلها في وكالات التحقيق التابعة للأمم المتحدة، فكان احتلال العراق هو الحل الأمثل لإنهاء جميع برامجه المتعلقة بالأسلحة النووية والبيولوجية والكيماوية وبالدرجة المطلوبة من اليقين بذلك.

وعقب الحرب اتجه الاهتمام في أوروبا والولايات المتحدة إلى عدم وجود أدلة قاطعة

على امتلاك العراق لهذه الأسلحة. مما لا شك فيه أن المحللين في وكالة الاستخبارات الأميركية كانوا يفتقرون إلى بيانات مؤكدة كافية حول امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل بعد مغادرة مفتشي الأمم المتحدة العراق في عام 1998 ولكن الذي كان واضحاً أن البرامج استمرت. ومع ذلك فيبقى الأمر غير الأساسي إن كان النظام نفسه قد دمر هذه البرامج بعد هزيمته في شباط 1991 أم أن المفتشين التابعين للأمم المتحدة والمزودين بأحدث وسائط الاتصالات قد دمروها بعد تمرد"حسين كامل" وشقيقه وذهابهما إلى الأردن في شهر آب من عام 1995. كان هذان الشقيقان زوجان لابنتي صدام حسين وكان حسين كامل على معرفة دقيقة ومفصلة ببرامج أسلحة الدمار الشامل العراقية. ويمكن أن نفهم من هذا أن هذه الأسلحة ربما قد تم تدميرها أثناء الحرب، أو ربما قد تم نقلها إلى بلد ثالث، أو أنها ربما ما زالت موجودة كهياكل فارغة مع حلول آذار 2003، مع العلم والتخطيط لإنتاج العوامل الكيماوية والبيولوجية اللازمة لصناعة السلاح أما الأسلحة الفعلية فقد تم تدميرها. وسوف تتمكن الولايات المتحدة من التأكد من إنهاء هذه البرامج فقط من خلال احتلال العراق وإجراء بحث دقيق وشامل فيه.

2. كانت الإدارة الأميركية مهتمة بالصلات التي تربط الحكومة العراقية بتنظيم القاعدة الإرهابي، وأكدت الإدارة الأميركية أنها تمتلك الدليل على وجود صلات وثيقة بين العراق والقاعدة ولكن هذا الاعتقاد قوبل بقدر كبير من الشك في الولايات المتحدة بسبب الطبيعة الدنيوية لنظام صدام حسين، والتفكير المميز الخاص بتنظيم القاعدة الذي كان يعارض هذه الأنظمة بشكل مباشر سواء في العراق ومصر وسوريا أو تركيا.. بل إن تنظيم القاعدة يعتبر حكام هذه البلدان مرتدين عن دينهم. ولكن بالرغم من كل الشكوك يبقى من الممكن أن تكون صلة ما قد تطورت بينهما.. فأرادت الإدارة الأميركية بعد هجمات أيلول الإرهابية أن تقي البلاد من أية هجمات أخرى قد تستخدم أسلحة نووية أو بيولوجية أو كيماوية. وبما أن العراق لديه أسلحة بيولوجية وكيماوية فإنه سوف يسعى إلى امتلاك أسلحة نووية إذا لم يتم إيقافه عن سعيه هذا.

كما عبرت الإدارة الأميركية عن قلقها بأن العراق ربما يزود تنظيم القاعدة بأسلحة بيولوجية أو كيماوية أو أسلحة نووية مع مرور الوقت.. ونتيجة للعواقب الواضحة لهذا فلابد من تجنب حدوث هجمات نووية أو بيولوجية أو كيماوية مماثلة لهجمات أيلول مهما

كانت التكاليف. مما لاشك فيه أن تنظيم القاعدة سيرغب باستخدام تلك الأسلحة لمهاجمة الولايات المتحدة حتى لو زودها بها نظام مرتد عن الدين. وأهم ما في الأمر أن أعضاء تنظيم القاعدة أذكياء وتنبثق عنه منظمات إرهابية ففي حين كان التحالف بين العراق والقاعدة بعيد الاحتمال في الماضي، إلا أن المسؤولين عن التخطيط للإدارة الأميركية لا يستطيعون استبعاد احتمال وجود تعاون في المستقبل بين العراق والقاعدة لتوجيه ضربة قاضية للولايات المتحدة التي يعتبرها تنظيم القاعدة رأس الأفعى.

3. أعلنت إدارة بوش أن صدام حسين مغامر لكبير لا تضمن نتائج أفعاله وبأنه شخص مستعد للإقدام على مخاطر ضخمة وسيئة المفهوم انطلاقاً من كونه حاكماً وله اتخاذ القرار، ولهذا ربما يكون أصاب الولايات المتحدة أو مصالحها في المنطقة بسوء بصرف النظر عن احتمال الانتقام الأميركي. إذا دققنا بالأدلة القائمة على ملاحظة أفعاله السابقة فسوف نجد خليطاً في القرارات التي اتخذها ما بين توخي الحذر والرغبة في المجازفة. فسواء مع الأكراد، إيران، أو الولايات المتحدة فقد ارتكب صدام حسين أخطاء فادحة في اتخاذه للقرارات.

ومن الصعب جداً التنبؤ بما سيفعله في المستقبل فربما يكون قد عقد حلفاً مع تنظيم القاعدة لشن هجمات على الولايات المتحدة أو حلفائها أو ربما يكون قد حيل دون ذلك ولكن الواضح أن الولايات المتحدة قررت عدم الاعتماد على تعقله في اتخاذ القرارات أو دون ذلك.

4. لقد أطاحت الإدارة الأميركية بالحكومة العراقية لتقيم دعائم الديمقراطية في عراق ما بعد صدام حسين وليس من المدهش طبعاً أن تكون إقامة الديمقراطية في العراق واجباً صعباً، إذ أن صدام حسين قد حكم جيلاً كاملاً ودمر الحياة السياسية في البلاد بشكل منظم. إن العراق يختلف بدرجة لكبيرة عن ألمانيا أو اليابان بعد الحرب العالمية الثانية ففي هاتين الحالتين نجد احتلالاً ناجحاً للولايات المتحدة فيهما ومن الخطأ أن نعتبر العراق حالة مطابقة لهما.. ففي ألمانيا واليابان كان هنالك مراكز أخرى للسلطة السياسية يمكن الاستفادة منها بواسطة الحلفاء أثناء إقامة أسس الديمقراطية. لقد أعلنت إدارة بوش أن الولايات المتحدة تنوي احتلال العراق لمدة عامين على الأقل.. ولن يكون مستغرباً إذا دامت الفترة أطول من ذلك. وعلى مدى السنين القادمة ستكون الديمقراطية العراقية الوليدة معتمدة إلى حد لكبير على الولايات المتحدة لحمايتها من التهديدات الداخلية والخارجية مثل طائفة الشيعة أو العصابات الموالية لصدام حسين أو إيران ولكي تساعدها أيضاً في إعادة بناء المنشآت الاقتصادية التي تضررت نتيجة للحرب.

بالإضافة إلى الأسباب التي تطرحها الإدارة الأميركية علناً، يوجد أسباب أخرى جعلتها تطيح بالنظام العراقي.. وهذه الأسباب ليس من الصعب إدراكها وقد وضعتها الإدارة الأميركية في الاعتبار بالتأكيد، ولكنها لا ترغب التصريح عنها علانية بسب تأثيرها على الشعب الأميركي وبلدان محددة مثل المملكة العربية السعودية وإيران والمجتمع الدولي بشكل عام.

السبب الأول من هذه الأسباب التي لم يتم الإعلان عنها صراحة هو أن سلطة الاحتلال الأميركية سوف تقيم قواعد عسكرية واستخباراتية على أرض العراق وعندما يتم إنشاء هذه القواعد فإن حكومة موالية لأميركا يعتبر أمراً ضرورياً للمحافظة على هذه المنشآت وتقديم التسهيلات اللازمة. والولايات المتحدة حالياً تستخدم أربع قواعد هي: مطار بغداد الدولي، الطليل جنوب العراق قرب الناصرية، مهبط الطائرات H-1 في المنطقة الغربية، ومطار باشور في المنطقة الكردية41.

تسمح هذه القواعد للطائرات الأميركية وطائرات الهيلوكوبتر بدعم جهودها في فرض الاستقرار والأعمال الأخرى بالإضافة إلى التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل ومحاربة المناصرين لصدام حسين الذين مازالوا أحياء وعصابات الشيعة. كما أن هذه القواعد تقدم الدعم الإداري للقوات الأرضية مثل قاعدة "باغرام" في أفغانستان أو معسكر "بوند ستيل" في كوسوفو وتمكّن هذه القوات من إيجاد المأوى المناسب والحماية اللازمة.

إجمالاً.. سوف تقدم هذه القواعد للولايات المتحدة تواجداً دائماً في أعماق المنطقة التي تستطيع من خلالها إظهار سلطتها وجعل بلادها متماسكة والإبقاء على حدود فترة ما بعد غزو العراق كما كانت في مرحلة ما قبل الحرب. لن تسمح أميركا للتقسيمات الخاصة بالأكراد، السنة، والشيعة بأن تصبح دولاً مستقلة وسيتم إقصاء القوات البعيدة عن المركز بطريقة النبذ، وقد طمأن هذا الحكومة التركية إلى أقصى حد حيث أنها تخشى نشوء إقليم كردستان ويتوفر بذلك قواعد آمنة لعمليات المنظمات الكردية الإرهابية (حزب العمل الكردي ومجلس الحرية والديمقراطية في كردستان) والذين يساندونهم. وستبقى مناطق العراق الثلاثة سوية" وقد تكون بذلك عائلة غير سعيدة ولكنها على الأقل ستبلي

بلاء حسناً.

ثانياً - سوف تكون هذه القواعد مفيدة في مجابهة إيران. وكما سيرد فيما يلي فإن إيران أعظم مساند للإرهاب من العراق.. فلطالما دعم الإيرانيون حزب الله في لبنان والشيعة في العراق وهم بالتأكيد يشجعون حماس في صراعهم مع إسرائيل. والأكثر من ذلك أن لهم روابط وثيقة مع تنظيم القاعدة وهنالك قوات للقاعدة وطالبان في إيران.. كما أن إيران تمتلك برنامج تطوير أسلحة نووية وتوسع أيضاً من أسلحتها الكيماوية والصواريخ بعيدة المدى. ومنذ الثورة الإيرانية في عام 1979 أصبحت إيران معادية جداً لأميركا وفقاً للنظرية اللاهوتية التي تلقي باللوم على أميركا للعديد من ويلاتها. كانت إيران واحدة من العناصر الثلاثة لمحور الشر وهي: العراق، إيران وكوريا الشمالية كما سماهم الرئيس بوش في خطابه في كانون الثاني 2002. إن جميع الأسباب التي توفرت لإدارة بوش لكي يهاجم العراق تنطبق بشكل أعظم على إيران. إذا كانت إيران هي الدولة الثانية التي ستتم مواجهتها فلابد إذاً من القواعد في العراق.. فجميع القواعد الأخرى في المنطقة، ووسط آسيا، وأفغانستان أو حتى التي في الخليج لا تكفي لمجابهة إيران.

ثالثاً - إن حكومة موالية لأميركا في العراق سوف تشكل بديلاً من المملكة العربية السعودية. لقد سبقت الإشارة قبل الحرب إلى التدهور الحاد في العلاقة بين الولايات المتحدة والسعوديين عقب أحداث 11 أيلول. وترى الولايات المتحدة من منظورها هي أن هذا يعود إلى الدعم السعودي الكبير لتنظيم القاعدة بشكل مادي أو مباشر. ويبدو أحياناً أن المعلقين في الولايات المتحدة لا يكلّون من الإشارة إلى أن 15 من أصل 19 شخصاً الذين اختطفوا الطائرات ونفذوا هجمات 11 أيلول كانوا من السعوديين.. كما أن السعوديين رفضوا مساعدة الولايات المتحدة بشكل صريح في عملية تحرير العراق رغم أنهم قدموا المساعدات للولايات المتحدة بطرق أخرى بأن سمحوا للطائرات والصواريخ بعبور مجالها الفضائي. والأكثر من هذا كله أن الولايات المتحدة تعتبر أن المملكة العربية السعودية معرضة للخطر بسبب بروز الفئة الشابة فالعدد الأكبر من السعوديين هم من الشباب والعديد من الرجال يزدادون تطرفاً أو تحرراً.. فإذا سقطت الحكومة الموالية

لأميركا في الرياض فإن العراق عندئذ سوف تصبح أكثر أهمية للولايات المتحدة كموقع لقواعدها ومصدر آمن للنفط وخاصة عندما يترافق مع نفط دول الخليج وقواعدها هناك والتواجد الأميركي المتزايد في اليمن. ومن الأفضل بالنسبة للولايات المتحدة أن تحافظ على المملكة العربية السعودية حليفاً لها ولكن مصالحها هي التي تفرض عليها التخطيط للمستقبل في حال فقدانها لحكومة موالية لها في الرياض. وبسبب الدهشة العظيمة التي أصابت الولايات المتحدة مع سقوط شاه إيران فقد تلقت درساً كيف تقي نفسها من أن تخسر رهاناً آخر في المنطقة.

في عراق ما بعد صدام حسين أصبحت الأهداف الأميركية: فرض الاستقرار في البلاد، قمع الضغوط العرقية والدينية المنبوذة، وخلق حكومة موالية لأميركا في بغداد.. وسوف تكون هذه الحكومة الناشئة والمجتمع ديمقراطياً بشكل شامل ومثالي ولربما مع إعادة تجديد النظام الاقتصادي والتعليمي والاجتماعي دعماً لتنامي الوجود الأميركي ولكن بالطبع هذا لا يكون مع ولادة دولة جديدة وإنما يكفيها الآن المظهر الديمقراطي الكاذب.

إن الأمر الحاسم في الوقت الراهن هو تشكيل حكومة عراقية حليفة لتساعد الولايات المتحدة في تحقيق أهدافها الاستراتيجية في منطقة الشرق الأوسط. يحتاج النظام العراقي الذي نشأ بعد الحرب إلى السماح للولايات المتحدة في وضع أسس والوصول إلى امتلاك حقوق تمكّن الولايات المتحدة من فرض سيطرتها داخل العراق وخارجه. إن القواعد الأربعة التي تستخدمها الولايات المتحدة ليست مهمة للعراق فحسب بل إنها تخلق توازناً مع انسحاب الولايات المتحدة من السعودية.. فقد تحول التواجد الأميركي هناك إلى قوة تدريب مثلما كان في فترة الحرب الباردة.. كما أنها تحل محل القواعد المقيدة في ألمانيا وفي أماكن أخرى من أوروبا القديمة وقاعدة "إنكلريك" في تركيا بسبب القيود التركية التي فرضتها تركيا على القاعدة أثناء عملية تحرير العراق والطلب الذي قدمته تركيا لأميركا بإنقاص عدد القوات عند انتهاء الحرب ومراقبة المنطقة الشمالية.. وقد تم بالفعل إنقاص عدد القوات الأميركية إلى اقل عدد ممكن حيث أصبح

1400 بعد الحرب.

من حسن حظ أميركا أن قواعدها متوافرة في المنطقة. وينبغي أن تكون العراق الصخرة التي تستعرض عليها أميركا قوتها.. ولكن إذا نظرنا إلى كامل المنطقة فسوف نجد تواجداً كبيراً جداً للأميركيين في منطقة الخليج لوحدها. وقد كان واضحاً أن الكويت استضافت العدد الأكبر من القوات الأميركية في حرب العراق 2003.. وبتكاليف باهظة جداً يقوم الكويتيون ببناء معسكر "أريفجان" وهو يبعد حوالى 40 ميلاً جنوب مدينة الكويت كي يكون بديلاً لمعسكر الدوحة مع عام 2005 ومن المتوقع أن يكون هذا المعسكر القاعدة الأميركية الرئيسة في الكويت وقد لعب دوراً هاماً في المساعدات الإدارية في عملية تحرير العراق مع أنه كان ما يزال قيد الإنشاء. وحالما ينتهي سوف يستضيف مركز قيادي متقدم وسوف يتسع لإقامة آلاف الجنود. أما في قطر فتتوضع القوات الأميركية في معسكر السيليه وقاعدة العُديد الجوية ويعتبر معسكر السيليه هاماً لأنه كان مقر القيادة التي تشرف على إدارة المعارك في عملية تحرير العراق. وتعتبر قاعدة العُديد هامة أيضاً بسبب قلة القيود التي يفرضها القطريون على استخدامها ولأنها مركز قيادة العمليات الجوية المشتركة، وإدارة القوات الجوية في المنطقة التي كانت سابقاً في قاعدة الأمير سلطان الجوية خارج مدينة الرياض42. تم بناء قاعدة العُديد الحديثة في أواخر عام 2001 لدعم العمليات التي تجري في أفغانستان والخليج. توجد إدارة الأسطول الأميركي الخامس في مدينة المنامة في البحرين وقد كانت قاعدة الشيخ عيسى الجوية هامة في الحربين على العراق.. وتستضيف الإمارات العربية المتحدة قاعدة الظفرة الجوية... كما سمحت عُمان للولايات المتحدة بانطلاق قاذفات القنابل B-IB، وطائرات الشحن C-130 والباخرات الحربية AC-130 من قواعدها الجوية في كل من "مسيرة، سيب، ثمرايت". ومن المتوقع أن تحظى القواعد الأميركية الموجودة في وسط آسيا بأهمية أكبر بالنسبة للولايات المتحدة مثل قواعد "باغرام، قندهار، خوست، لورا، مزار شريف، وبولي قندهار في أفغانستان.. والقواعد الأخرى الموجودة في جورجيا "فازياني"، "فرجستان"، "ماناس"، وطاجكستان وأوزباكستان "قريش - خانداباد".. وأخيراً قاعدة

"دييغو غارسيا" التي يسيطر عليها الإنكليز في المحيط الهادي وتعتبرها الولايات المتحدة قاعدة هامة جداً في الصراع لتقديم المساعدات الإدارية.

وبالإضافة للقواعد الموجودة في جنوب غرب آسيا فإن أوروبا الحديثة تقدم للولايات المتحدة فرصاً هامة مثل قواعد "بويدز وكرزيسني" الجوية في بولندا، وقاعدة "ميهايل كوغالينسينو"، ومنطقة التدريب في "باباداج"، ومرفأ البحر الأسود "كونستانزا" في رومانيا، وفي بلغاريا "بيزمير غراف إغناتيفو"، ومطار "سارافوفو" العسكري، ومناطق التدريب في "نوفو سيلو"، ومرفأي "أجيا وبورغاس". ويمكن وضع قوات في "ليتوانيا" أيضاً. ولهذه القواعد مزايا عديدة هامة:

أولاً - قربها من مواقع تهديد الأمن المباشر في منطقة الشرق الأوسط.. فهي تقع في منتصف المسافة ما بين برلين وبغداد.

ثانياً - عدم وجود حاجة لطلب موافقة على العبور في المجال الجوي من بلدان مثل النمسا أو فرنسا التي قد تمنع عبور القوات الأميركية أو أن تضع قيوداً غير ضرورية على العبور في أراضيها.

ثالثاً - أن العمليات في هذه القواعد أقل كلفة، والعقبات البيئية أقل تقييداً والتوسع أكثر إمكانية على خلاف القواعد الحالية الموجودة في ألمانيا أو بلجيكا.

إن القواعد الموجودة في أوروبا الحديثة ستكون ذات أهمية خاصة إذا تحققت رؤية "ورقة النيلوفر" من القواعد العسكرية التي يتبناها "رامسفيلد" وقائد المقاتلين الأوروبيين الجنرال "جيمس جونز"43 ومن منطلق هذا التصور يوجد القليل من القواعد قيد التشغيل ذات الموقع الاستراتيجي الهام مثل قاعدة "رامستين" الجوية في ألمانيا وهي مزودة بعدد قليل من الكادر العامل. القواعد التي ستعمل مستقبلاً فهي موضع نقاش مع أفراد كادرها الذين تم تكليفهم بالقيام بواجبات مؤقتة. وهؤلاء الأفراد المكلفين بهذه الواجبات لا يتحملون أية أعباء ترتبط بالعائلة أو ما يلزم لدعم حياتها ولا يوجد في هذه القواعد سوى العدد اللازم من الأفراد، وقد قال "جونز" يوم 28 نيسان 2003 عن هذه المواقع "تشعر فيها بأنك في المكان الأصلح لشن الحملات وأن تحط فيها كتيبة من

الجند، وأن يتم التدريب على مدى شهرين مع أمة مضيافة.. وكأنك تنفذ عملية على المسرح ثم تغادر لتعود بعد ستة أشهر مثلاً"[44]. لقد وجدت هذه القواعد أساساً لدعم القوات العاملة في منطقة الشرق الأوسط، القوقاز، ووسط آسيا.. ويمكن تدعيمها بإضافة مخابئ أي مواقع يتم فيها وضع المعدات الثقيلة مثل الدبابات في مكان محدد وأمين. وهذه المواقع سوف تكون مشابهة للقواعد الموجودة حالياً في "دييغو غارسيا" وفي أماكن أخرى وهي إما أن تكون قواعد ستعمل مستقبلاً للدعم والتعزيز أو أن تكون منفصلة بذاتها. بالإضافة للقواعد الرئيسة العاملة والقواعد التي ستعمل مستقبلاً، يوجد في تصور "جونز" مواقع للعمليات مستقبلاً[45] ومن المحتمل أن يكون مركزها في أفريقيا بشكل أساسي وسيتم استخدامها حصراً من قبل القوات الدورانية الخاصة بمهمات محددة[46] وعن إكمال المهمات فإن الوحدات سوف تغادر وتبقى قوات وكيلة وبهذا يكون الأثر الأميركي في حدوده الدنيا في المكان.

إن العامل الآخر الذي يجعل إقامة القواعد في أوروبا الحديثة أمراً يجتذب الأميركان هو أن الحكومات المضيفة تريد وجوداً أميركياً لديها. وتعليقاً على تغيير القواعد أفاد مسؤول عسكري أميركي كبير قائلاً: "إن قيامنا بهذا هو بهدف مغادرة الأماكن التي لا نكون مرغوبين فيها أولا نلقى المعاملة التي نريد.. إن تجمع الدول الشرقية يمدون أيديهم إلينا رغبة بالشراكة معنا"[47].

أما فيما يتعلق باحتلال العراق فقد أحرزت الولايات المتحدة تقدماً هائلاً في فرض الاستقرار في البلاد منذ نهاية الحرب. ولكن الذي اتضح أن الولايات المتحدة قد ارتكبت خطأ بعد الاحتلال مباشرة.. لقد كان الوقت الأمثل لها لأن تثبت وجودها، وتضع القوانين، وتعلن إعداد دستور جديد، وأن تدع موظفين من الطبقة المتوسطة أو الدنيا يديرون الأمور في البلاد، وأن تعلن صراحة أن وجود الاحتلال الأميركي في العراق سيدوم إلى ما بين عشرة إلى خمسة عشر سنة، وأن تسعى بالتدريج إلى انتقال السلطة إلى حكومة موالية للأميركيين... لماذا لم تفعل أميركا هذا كله؟.. هذا مالا يمكن فهمه.. ربما رغبت في عدم فهم وجودها كسلطة استبدادية مما سيثير ضدها ردة فعل النفور من الأجانب والخوف

منهم بين العراقيين.. ومع ذلك.. ولأن الولايات المتحدة لم تفعل ما كان ينبغي أن تفعله، أصبحت مقاومة تنظيم وجودها وانتشاره أسهل.. ولكن، ولو مع بعض المصاعب، فإن القوات العسكرية الأميركية وشركائها في الائتلاف سوف يستطيعون الحد من نشاط العصابات المهاجمة لهم، وكسب المزيد من دعم العراقيين لهم حيث أنهم لم يصدقوا بعد عدم إمكانية عودة صدام حسين وحزب البعث إلى السلطة وانسحاب الأميركيين من العراق.

II - جدول أعمال الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط: تهديدات إيران وسوريا:

إن إيران هي أعظم خطر يواجه الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط وهي أعظم خطراً من الإرهاب ودولٍ أخرى مثل سوريا. وهنالك ثلاثة أسباب تجعلها كذلك:

أولاً - الصلات الوثيقة بين إيران وتنظيم القاعدة وإيواء الجماعات الإرهابية وفلول قوات طالبان وهذا ما أكده "رامسفيلد" مرات عديدة واعترف به الإيرانيون أنفسهم48. وقد أعلن مسؤولون في الاستخبارات الباكستانية أن مركز عمليات تنظيم القاعدة قد انتقل من باكستان إلى إيران منذ اعتقال قائد عمليات التنظيم الإرهابي "خالد شيخ" من أتباع طالبان والقاعدة في إيران49. لا يوجد أدنى شك أن إيران تأوي لديها قوات طالبان والقاعدة ومنهم قادة كبار في كلا التنظيمين. وقد اعترفت طهران أنها تحتجز "سيف العدل" الذي من المعتقد أنه العقل المدبر للعمليات العسكرية وثالث أهم شخصية في تنظيم القاعدة والذي سيتم تقديم مبلغ 25 مليون دولار كمكافأة مقابل تسليمه، والناطق الرسمي باسم التنظيم "سليمان أبو غيث"، و"سعد بن لادن" الابن الثالث لأسامة بن لادن. وتشك واشنطن أيضاً بأن طهران تحتجز لديها شخصيات هامة أخرى مثل: "أبو حفص" والمعروف بالموريتاني، و"أبو مصعب الزرقاوي" الذي يُعتقد أنه صلة الوصل بين تنظيم القاعدة وصدام حسين، و"محمد المصري" المتورط في عمليات شرق أفريقيا. يجب على طهران أن تطرد فوراً عناصر طالبان وأن تسمح للولايات المتحدة وحكومة "قرضاي" باستجواب كل عنصر منهم وأن تسجن الذين ترى فيهم تهديداً كبيراً.. ويجب تسليم جميع عناصر القاعدة للولايات المتحدة مباشرة.

ثانياً - تدعم إيران الحركات المناهضة لحكومة "حامد قرضاي" التي تساندها

أميركا في أفغانستان وهي تفعل ذلك بدعمها "للحزب الإسلامي" الذي يتزعمه القائد العسكري الأفغاني الشهير "قلب الدين حكمتيار". إن هذا الدعم الإيراني يعني بأن الولايات المتحدة والقوات التي تدعمها الولايات المتحدة في أفغانستان ستواجه هجمات من عصابات أفضل تدريباً وتجهيزاً وتنظيماً. وتشير التقارير الحديثة إلى الازدياد الواضح في تعداد الحزب الإسلامي بسبب الذين ينضمون إلى صفوفه من المتطوعين الشيشان والأوزبكيين. كما أن هذا الحزب يحظى بدعم إضافي من الجيش الوطني الأفغاني نفسه. إن أفراد الجيش قد ينقلبون في أي وقت ليدلوا بمعلومات استخباراتية عن العمليات التي ستجري ضد الحزب الإسلامي أو أي جماعة أخرى فيعيقون بذلك فعالية الجيش أثناء تنفيذ مهماته. مع مرور الوقت سوف يضعف الحزب الإسلامي ويزداد الجيش احترافاً وتتناقص المشكلة ولكن أهمية الوجود الأميركي في أفغانستان ستبقى قائمة حتى يحين ذلك الوقت.

ثالثاً - وهي النقطة الأهم.. أن لدى المجتمع الدولي شك قوي بأن إيران تطور أسلحة نووية وبأنها قد تمتلكها في غضون ثماني إلى عشر سنوات دون مساعدة خارجية من دولة نووية أخرى مثل الصين، كوريا الشمالية، أو باكستان ويتضح أنها ستمتلك هذه الأسلحة في غضون وقت اقصر، ربما مع حلول عام 2005، إذا تلقت مساعدة ضخمة من هذه الدول.. وهذا ما أوردته تقارير عديدة عنه[50]. يبقى هذا الشك قائماً رغم الادعاء الإيراني بأن برنامجها النووي: 1 - سلمي 2 - أنها قد زودت الوكالة الدولية للطاقة الذرية بتقرير كامل عن برنامجها النووي وسوف تواصل تقديم التقارير المطلوبة 3 - تدعي إيران أنها واضحة وصريحة في تعاملاتها مع بقية دول المجتمع الدولي.

لقد نشأ هذا الشك لأن إيران قامت وبحذر تام بوضع أسس الحلقة الكاملة للوقود النووي وحالما يتم إنتاج المادة النووية فإنه يمكن عندئذ تحويلها إلى سلاح نووي بشكل أسهل نسبياً. وعلى الرغم من ادعاءاتها بأنها كانت واضحة وصريحة مع المجتمع الدولي فقد كانت إيران مجبرة على الاعتراف بوجود منشآت ومواد لم يسبق أن أتت على ذكرها. ورغم أن إيران بلد محظوظ بتوفر النفط والغاز الطبيعي لديه فإنه يدعي بأن برنامجه

النووي مخصص لإنتاج أقل كلفة وأكثر حفاظاً على البيئة من الطاقة الكهربائية لتلبية حاجات 66 مليون نسمة. تشير التقديرات في الواقع على أن منشآتها النووية سوف تنتج كمية من الطاقة أقل من الكمية التي يتم حرقها من الغاز الطبيعي كمعدل سنوي. ومع ذلك أصرت إيران على ادعائها بأنها سوف تقوم بتوليد 7000 ميغاواط من الطاقة الكهربائية من منشآت الطاقة النووية مع عام 2022. إن الأمن هو السبب الأهم الذي يدفع بدولة ما إلى تطوير سلاح نووي ومن الواضح أن كونها طرفاً في محور الشر الذي أعلنه بوش فإن الحكومة الإيرانية الحالية تجد أنها خاضعة لتهديد السلطة العسكرية للولايات المتحدة بالإضافة إلى أعدائها في المنطقة ومنافسيها مثل إسرائيل وتركيا[51]. ترى إيران من منظورها هي أن الولايات المتحدة قد أعلنتها طرفاً عدواً في محور الشر والولايات المتحدة تحيط إيران بقواعد في جمهوريات وسط آسيا من الشمال، مشايخ الخليج من الجنوب، أفغانستان من الشرق، العراق، وتركيا من الغرب. تلقي إيران باللوم على واشنطن بشأن الاضطرابات الداخلية مثل الاضطرابات التي قام بها الطلاب في عام 2003 والتي هزت حكومة الزعيم الروحي لإيران "آية الله خامنئي". ولهذا السبب فإن امتلاك إيران لأسلحة نووية سوف يسمح لإيران بالحيلولة دون أي تهديد تتعرض له كما أن القيادة الإيرانية سوف تتصرف بمغامرة وعدوانية أكثر حالما تتيقن أنها في أمان.

تتقدم إيران على مسارين نحو امتلاك الأسلحة النووية: إنتاج نظائر اليورانيوم والبلوتونيوم اللازمة لإنتاج أسلحة نووية (U235 and PU239). ولقد أحرزت تقدماً هاماً في المنشأة التي تقيمها في "ناتانز" الخاصة بتخصيب اليورانيوم ونبذ الغاز ويوجد لديها في هذا المصنع نموذج أولي من "scale-cascade" مكوّن من 156 وحدة نابذة، ومكونات لألف وحدة أخرى جاهزة للتشغيل مع نهاية 2003، وخطط لتركيب 5000 وحدة تقريباً مع نهاية عام 2005[52]. إن المجلس الوطني لمقاومة إيران وهو الذراع السياسي لمنظمة مجاهدي خلق اليسارية المقاومة هو الذي كشف عن وجود منشأة "ناتانز" في آب 2002. وقد أدهشت المنشأة جميع موظفي الوكالة الدولية للطاقة الذرية عندما زاروها لأول مرة في شباط 2003 وقد وصف "محمد البرادعي" المنشأة على أنها معقدة ورفيعة

المستوى.

والأهم من ذلك أن جزءاً من المنشأة قد شيّد تحت الأرض مما يعني صراحة أنه بقصد حمايتها من أي هجوم ومن مراقبة وكالات الاستخبارات، وليتمكنوا من توسيع المنشأة سراً بحيث تتضمن آلاف الوحدات النابذة التي قد تصل كما ورد ذكره إلى 50.000 في غضون خمس إلى عشر سنوات وهذا كاف لتزويد إيران بحوالى 500 كلغ من اليورانيوم الخاص بالأسلحة سنوياً وإذا كان كل سلاح نووي يحتاج إلى 15 أو 20 كلغ فهذا يعني وجود حوالى 25 إلى 30 سلاحاً نووياً في السنة. ومن الممكن أن يكون القسم الذي تم بناؤه تحت الأرض أكبر في واقعه الحقيقي مما رآه ظاهرياً عناصر الوكالة الدولية للطاقة الذرية. وقد أفادت إيران قائلة بأن الاختبارات التي تتم على أجهزة تدوير الوحدات النابذة يتم تنفيذها في جامعة "أمير خبير" وفي مقر وكالة الطاقة الذرية الإيرانية[53]. وفي تموز 2003 تم أخذ عينات من محيط منشأة "ناتانز" ووجد أنها تحتوي على آثار اليورانيوم المخصب مما يعني بأن علمية التخصيب قد تمت بالفعل[54].

وفي منشأة لم يتم الكشف عنها من قبل وهي "شركة كالاي الكهربائية" في طهران، تركز الشك حولها في أنها مقر الأبحاث وتطوير العمل الذي تقوم به إيران في برنامج نبذ الغاز وتخصيب اليورانيوم[55].. وتحتج إيران على ذلك بأنها شركة سلمية مختصة بتصنيع الساعات بالإضافة إلى أي نشاط آخر. ولكن ما يزال الشك قائماً بأنها الموقع الأول المتعلق بالبرنامج النووي وبأن الشركة مجرد واجهة فقد رفضت إيران وصول أعضاء الوكالة الدولية للطاقة الذرية إلى بعض الأماكن في "شركة كالاي" ورفضت السماح لأعضاء الوكالة بأخذ عينات من محيط الشركة أو قربها.

وردت تقارير في عام 2003 أن هنالك 1.9 كلغ من "هيكسافلورايد اليورانيوم" قد تم استيرادها من الصين ربما في عام 1991 وتم اختبارها في "شركة كالاي الكهربائية" لتحديد مواضع الخلل في عملية إقامة منشأة أكبر للنبذ في "ناتانز"[56]. وقد أشار أعضاء الوكالة الدولية للطاقة الذرية بأن 1.9 كلغ من "هيكسافلورايد اليورانيوم" مفقودة ولكن الموظفين الإيرانيين قالوا بأن هذا ناتج عن التسرب من صمامات حاويات التخزين.

وتبعاً لما أفاد به كلاً من "دافيد ألبرايت" و"كوري هندرستين" من معهد العلوم والأمن الدولي، فإن أي برنامج اختبار للنبذ مهما كان صغيراً يحتاج من كيلو على 2 كلغ من "هيكسافلورايد اليورانيوم"57. وعلى أية حال لقد كانت "هيكسافلورايد اليورانيوم" جزءاً من شحنة ضخمة من هذه المادة مقدارها 1000 كلغ تم استيرادها من الصين ولم تأت إيران على ذكرها إطلاقاً أمام أعضاء الوكالة الدولية للطاقة الذرية58، كما أن "بييجنغ" أيضاً قد زودت طهران بكمية مقدارها 400 كلغ من مادة "تترافلورايد اليورانيوم" و400 كلغ من مادة "ثاني أوكسايد اليورانيوم" والتي تم تخزينها جميعاً في مخابر "جابر بن حيان" متعددة الأغراض الموجود قرب مركز الأبحاث النووية في طهران. وفي عام 2000 قالت إيران أنها قد حولت معظم كمية "تترافلورايد اليورانيوم" إلى معدن اليورانيوم في مخابر جابر بن حيان، ولكن ولأن معدن اليورانيوم الصلب لا يستخدم في الوضع الطبيعي لبرامج الطاقة التجارية فهذا نفسه قد يكون دليلاً قوياً على طموح إيران نحو امتلاك أسلحة نووية.

ومن الممكن أيضاً أن تكون إيران قد طورت منشآت للتخصيب في مواقع أخرى.. فقد ذكر المجلس الوطني للمقاومة في إيران بأن هنالك منشأتان جديدتان لنبذ الغاز في "رامانده" و"لاشكار آباد"59.. ويقال بأن إحدى المنشأتين ذات حراسة أمنية مشددة وهذا ليس أمراً ضرورياً لو أن هذه المواقع مختصة فعلاً بأعمال طبية أو زراعية كما تدعي إيران60. إن هذه المنشآت جميعها تبين بأن إيران قد تلقت درساً من الهجوم الإسرائيلي في عام 1981 على "مجمّع مفاعل أسيراك العراقي" منذ أن أنشىء ولو جزئياً على الأقل، فحرصت إيران على عدم تمركز البرنامج في مكان واحد لتلغي بذلك أي تهديد يوقف الاستمرار في البرنامج النووي ولو بهجوم واحد على إحدى المنشآت. إن منشأة "ناتانز" في وقت كتابة هذه الدراسة لم يكن يبدو فيها أي انتهاك لاتفاقية الحماية لأنه لم يكن واضحاً أن فيها إنتاجاً لمادة نووية.

وفي حين أن هذه التطورات مدعاة للقلق فإن الخطر الحقيقي يكمن في تمهيد طريق إيران نحو امتلاك الأسلحة النووية بمساعدات خارجية. إن خط تقدم إيران نووياً لا يوحي

بتدخل مساعدات خارجية في برنامجها. ومن الصعب فهم هذا الأمر وفقاً لتاريخ تطور الأسلحة النووية. ففي جميع الحالات تقريباً فإن الدولة الناشئة نووياً لابد أن تلقى مساعدة من دولة أخرى. فالولايات المتحدة مثلاً تلقت مساعدات من بريطانيا وكندا واللاجئين الألمان والأوروبيين الذين أُكرهوا على الهجرة من بلادهم لأسباب سياسية.. والولايات المتحدة بدورها ساعدت بريطانيا وفرنسا.. وفرنسا بدورها ساعدت إسرائيل.. وإسرائيل ساعدت جنوب أفريقيا.. والجواسيس في "مشروع مانهاتن" ساعدوا الاتحاد السوفياتي. والاتحاد السوفياتي ساعد الصين.. والصين ساعدت باكستان.. وباكستان ساعدت كوريا الشمالية.. ومع هذا التسلسل التاريخي والحقائق الأكيدة فلا بد أن نتوقع بأن كوريا الشمالية هي التي ساعدت إيران.. وقد تصبح إيران بلداً نووياً خلال هذا العقد إذا لم يتم توقيف برنامجها النووي أو عرقلته إلى درجة كبيرة.

يوجد دليل قوي على تلقيها مساعدة كثيفة من كوريا الشمالية. فما بين نيسان وحزيران 2003 تكررت الرحلات الجوية الإيرانية إلى"بيونغ يانغ" لست مرات61. ويشكل هذا الرقم زيادة هامة عن الأرقام السابقة التي كانت بمعدل رحلة أو رحلتين في السنة. تُعتبر الشحنات الجوية آمن من حيث التوقيف أو اعتراض سبيلها من النقل البحري وفقاً لخبرة كوريا الشمالية الحديثة في هذا المجال بعد أن كانت باخرة كورية محملة بالصورايخ ومتجهة إلى اليمن فاعترض سبيلها الأسطول البحري الاسباني في كانون الأول 2002. ولكن يبدو أن هنالك رغبة من طرف الإيرانيين لخوض مجازفات من هذا النوع حيث أن سفن الشحن الإيرانية قد رست في مرفأ"هايجو" في كوريا الشمالية الذي يبعد 120 كلم جنوب"بيونغ يانغ" عام 2003 والتي من المفترض أنها تحمل قطع الصواريخ المطلوبة وتجهيزات عسكرية أخرى. ربما يُدهش البعض أن تكون كوريا الشمالية قد ساعدت إيران في برنامجها النووي إذا نظرنا إلى حالة الفقر المدقع لكوريا الشمالية إذ أن المعرفة التقنية بالصورايخ والأسلحة النووية والمواد اللازمة لذلك أقل لديها من أن تبيعه وقد سبق لها أن بادلت تقنية الصواريخ بالتقنية النووية مع باكستان. كما يوجد تاريخ طويل من التعاون بين البلدين فقد قدمت كوريا الشمالية مساعدة مكثفة

لإيران لتطوير صاروخ "شهاب-3" متوسط المدى الذي يستطيع الوصول إلى إسرائيل[62].

هنالك اهتمام واضح من طرف أميركا بشأن المنشأة التي قيد الإنشاء قرب"أراك" التي تبعد 250 كلم جنوب طهران والتي سوف تستخدم لإنتاج المياه الثقيلة وفي حديث ألقاه"غلام ريزا آغا زاده" - مدير برنامج الطاقة الذرية في إيران- في مؤتمر لمراجعة معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية في 6 أيار عام 2003، قال فيه أن إيران سوف تقوم بإنشاء مفاعل لإنتاج 40 ميغا واط من اليورانيوم المشبع المصمم لإنتاج الماء الثقيل الذي لا يبعد عن منشأة إنتاج المياه الثقيلة ومن المتوقع أن يتم تشغيل هذا المفاعل تحت حماية الوكالة الدولية للطاقة الذرية[63]. سوف يتم البدء بإنشائه في عام 2004 وسوف يُسمى"مفاعل إيران للبحوث النووية 40"[64] ويُعتبر الوقود المستهلك في هذا النوع من المفاعل مثالياً لإنتاج مادة"البلوتونيوم" إشعاعية النشاط وفي الواقع أنه من الممكن أن ينتج ما بين 8 إلى 10 كلغ من هذه المادة في السنة وهي كمية كافية لسلاحين نوويين كل سنة، وقدم ذرائع لإنشاء منشأة أراك لإنتاج المياه الثقيلة الغنية بالهدروجين الثقيل. من الممكن استخدام الماء الثقيل في المفاعلات التي تنتج البلوتونيوم الخاص بالأسلحة والذي تتم معالجته لتحويله إلى أسلحة نووية. إن ميزة مفاعلات الماء الثقيل تكمن في استخدام اليوارنيوم الطبيعي وهو العنصر الذي تنقب عنه إيران حسب تصريحات الرئيس الإيراني"محمد خاتمي" في شباط 2003، وزيادة على هذا أن مراقبة اليورانيوم الطبيعي أصعب من اليورانيوم المخصب.

وفي 4 آذار 2003 أعلن"حسن روحاني" الأمين العام لمجلس الأمن القومي الأعلى بأن هنالك مصنعاً لمعالجة اليورانيوم سيبدأ العمل في عام 2003 وهو يقع قرب مدينة"أصفهان" على بعد 350 كلم جنوب طهران. ويعالج هذا المصنع اليورانيوم الذي يتم الحصول عليه من المناجم القريبة(مناجم ساغاند) ويتم تحويله إلى ثاني أوكسيد اليورانيوم، رابع فلورايد اليورانيوم، وسادس فلورايد اليورانيوم.. ومن الممكن أن يتم نقل هذه المواد بعدئذ إلى"ناتانز" لتتم معالجتها بشكل أكبر ولتخصيب اليورانيوم الخاص

بالأسلحة[65]. ومن الممكن أيضاً أن يتم استخدام ثاني أوكسيد اليورانيوم من مصنع أصفهان لإنتاج وقود نووي لمفاعل الماء الثقيل في"أراك".

إن المفاعل الذي بنته روسيا لتخصيب اليورانيوم بدرجة دنيا والماء الخفيف في"بوشهر" (Bushehr I, a 1000 MWe, VVR-1000 reacotr) أقل فعالية في إنتاج البلوتونيوم، أما مفاعل الماء الثقيل فهو أفضل بكثير لهذه الغاية. ومع أن منشأة "بوشهر" تبدو غير قابلة للتوسع إلا أن أنها ليست حميدة العواقب. لقد ساعدت روسيا الإيرانيين في بناء هذه المنشأة مقابل عقد مقداره 800 مليون دولار أميركي ومن المتوقع أن تكون قيد التشغيل الكامل في عام 2004. تفيد منشأة"بوشهر" البرنامج النووي الإيراني بممارسة الخبرة واكتسابها في تشغيل المفاعل وصيانته بالإضافة إلى الوصول إلى تقنية ثنائية الاستخدام التي قد تتحول إلى برنامج أسلحة نووية إيرانية. ومن الممكن أيضاً أن يتم إنشاء المفاعل الثاني في المنشأة (Bushehr Π, a 1300 MWe reactor) وبذلك تضمن روسيا ما تحتاج إليه منه إذ ترسل لها إيران الوقود المستهلك في"بوشهر" لتتم إعادة معالجته في مصنع"ماياك" في روسيا. من الممكن تخيله أن إيران قد تعرض رغبتها في شراء بعض أو كل الوقود بسعر سخي. ورغم ذلك كله فإن مما يُرضي الولايات المتحدة أن روسيا قد وافقت على عدم تزويد منشأة"بوشهر" بالوقود إلا إذا وقعت إيران بروتوكولاً إضافياً مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية تسمح فيه للوكالة بتفتيش جميع المواقع وليس فقط التي صرحت عنها إيران وأن ترضى بحملات تفتيش مباغتة. وفي تشرين الأول 2003 قبلت إيران هذه المطالب ووافقت على تجميد برنامج تخصيب اليوارنيوم ويبقى أن نرى إن كانت إيران تنوي تنفيذ هذه القرارات أم أنها تلهو لبعض الوقت.

ينبغي على أميركا أن ترغم الحكومة الإيرانية على وقف دعمها لتنظيم القاعدة والمتمردين في أفغانستان وإيقاف برنامجها النووي. وللزمن أهمية عظمى في كل حالة من هذه الحالات ولكن الأهم فيها بالنسبة للسياسة الأميركية هو منع إيران من أن تصبح دولة نووية. هنالك مجال لإيقاف برنامج إيران النووي ولكن الفرصة تتناقص بسرعة.

إن ما يعقّد موضوع الأسلحة النووية الإيرانية هو برنامج كوريا الشمالية النووي فمن

الضروري جداً إيقاف برنامج كوريا الشمالية لأنه إذا لم يتم الحد من الجهود التي تتقدم بها"بيونغ يانغ" فمن الممكن لكوريا أن تبيع الأسلحة أو التقنية لطهران. فيصبح برنامج كوريا النووي الطريق الممهدة لإيران للحصول على أسلحة نووية بسهولة.

من حسن الحظ أن القواعد التي تم انشاؤها في العراق تقدم فائدة عظيمة بمجابهة إيران.. فالعراق سيقوم بدور كوريا الجنوبية في مجابهة كوريا الشمالية وذلك من منطلق تقديم الأراضي لحشد القوات وانتشارها ضد العدو.. ولابد من اليقين بأن مجابهة إيران لا تعني بالضرورة غزوه أو توجيه ضربة عسكرية له.. فقد كان في غزو العراق من الصعوبة ما يكفي فكيف بإيران وهي مرعبة أكثر.. ولكن لا يمكن نفي الغزو أو الضربات العسكرية نفياً قاطعاً فالولايات المتحدة تتمتع بالقوة الكافية للقيام بأيٍ منهما. ولكن الخيار الأقوى هو أن تتمكن إسرائيل من ضرب وتدمير منشآت إيران النووية إذ أن تدمير إسرائيل لها سوف يقضي على خط كبير يتهدد إسرائيل. وغالباً ما يشير الإسرائيليون باهتمام كبير إلى أن 70% من سكان إسرائيل يتمركزون في مجال المدى القاتل لسلاح نووي استراتيجي واحد. وأهم ما في الأمر أن هجوماً كهذا ممكن وفقاً لقدرات إسرائيل العسكرية. فهي تستطيع تنفيذه مع توفر مهارة الطيارين لديها والأسلحة والقدرة على إعادة التزويد بالوقود. إن بإمكان الطيران الإسرائيلي أن يخترق المجال الجوي للعراق والأردن لتنفيذ هذا الهجوم. وتستطيع الولايات المتحدة أن تؤمن لها سراً فتح المجالات الجوية. ربما يكون استخدام قوات العمليات الخاصة أو قوات الموساد السرية مع الضربات الجوية أو منفصلين للتأكد تماماً من تدمير المنشآت كلياً إما من خلال القنابل أو من خلال التخريب الكامل66.

إن الهجوم الإسرائيلي على المنشآت الإيرانية سوف يخلص الولايات المتحدة من تحمل القيام بهذا العمل ويتيح لها الفرصة لتركيز اهتمامها على حالة عدم الاستقرار الحالية في بعض أجزاء العراق والتركيز على مجابهة تلوح في الأفق مع كوريا الشمالية.. فبالنسبة للولايات المتحدة يعتبر التهديد الذي تشكله كوريا الشمالية خطراً أكبر بسبب نمط الحكم في"بيونغ يانغ" وحقيقة امتلاكها لأسلحة نووية تتزايد باستمرار.. إن الزمن

يمضي بسرعة.. ولهذا فإن الخطر الذي تشكله إيران للولايات المتحدة يُعتبر اقل. أما بالنسبة لإسرائيل فالوضع بالعكس.

إن تقسيم المهام - بأن تقوم الولايات المتحدة بمجابهة كوريا الشمالية وتقوم إسرائيل بتدمير المنشآت النووية لإيران - سيكون ذا فائدة قصوى للولايات المتحدة لأنه لا بد من مجابهة كل من طهران وكوريا الشمالية في زمن قصير نسبيا، ومسالة الزمن أمر في بالغ الأهمية عندما يتعلق الموضوع بإيقاف برنامج نووي... والعدوان الإيراني سيكون موجها تحديدا ضد إسرائيل وليس ضد الولايات المتحدة... والولايات المتحدة ستشجب علانية الفعل الإسرائيلي كما فعلت بعد عام 1981... كما أن الولايات المتحدة تستطيع بشكل قابل للتصديق إنكار تورطها في الفعل الذي أقدمت عليه إسرائيل مع وجود التهديد الجدي الذي تشكله الأسلحة النووية والصواريخ على إسرائيل. ومن المؤكد أن العديد من الدول في العالم الإسلامي سوف ترى في الولايات المتحدة لن تكون مجبرة على مواجهة قوة الغضب العارم للعالم الإسلامي فيما لو قامت بهذا الهجوم هي.

والفائدة الأخيرة لتقسيم العمل ربما تكون ذات أهمية قصوى لأن الهجوم الإسرائيلي هذا سوف يقلل من خطر انتقام إيران ضد ناقلات النفط في الخليج.. فإغراق أو تدمير ناقلات النفط سيؤدي إلى عرقلة تدفق النفط من الخليج وهو الشيء المتوقع من إيران كآلية رئيسة للانتقام من الولايات المتحدة إن كانت هي التي ستوجه الهجوم على المنشآت النووية الإيرانية67. تمتلك دول الخليج الفارسي حوالى ثلثي مخزون النفط العادي المثبت الوجود - وهو يشكل حوالى 32% من إجمالي مخزون العالم وحوالى 90% من قدرة العالم على إنتاج النفط - وهذا النفط قد يتم نقله لتعويض تخلخل تزويد النفط في أماكن أخرى مثل نيجيريا أو فنزويلا. إن أي انقطاع في عملية تزويد العالم بالنفط أو القدرة على إنتاج النفط يشكل خطراً كبيراً على الاقتصاد العالمي وهذا وحده كافٍ لجعل رئيس الولايات المتحدة يتردد في هذا الموقف.

تستطيع إيران في مدى قصير، ربما في الساعات أو الأيام أو حتى الأسابيع الأولى من المواجهة أن تفرض قيوداً شديدة على نقل شحنات النفط في الخليج كله وهذا يتضمن

شحن النفط من البحرين، العراق، الكويت، قطر، المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة.. ولجعل الموقف أكثر سوءاً ربما يقلل أو يُنقص الإيرانيون من تصدير نفطهم هم إلى الأسواق العالمية وهذا سيجعل من حال الكارثة أسوأ بكثير. أما على المدى الطويل فإن بإمكان الأسطول البحري والخدمات المساندة له تدمير معظم آليات إطلاق الصواريخ والسلاح الجوي ولكن هذا الأذى الذي سيحيق بإيران لن يمنع الضرر الذي سيلحق بالاقتصاد العالمي الذي يُعتبر التدفق الحر للنفط بالنسبة له شرط لابد منه.. والخليج عنصر أساسي في هذه النقطة.. هنالك حوالى 13,6 مليون برميل نفط في اليوم تعبر مضيق هرمز كل يوم، ومع النظر إلى أية سنة فإن خمسي نفط العالم يعبر هذا المضيق في طريقه إلى آسيا، أوروبا، والولايات المتحدة.

تتمتع إيران بساحل طويل يمكنها من خلاله شن الهجمات وهي تسيطر على مسافة عرضها 34 ميل من مضيق هرمز كما تسيطر على ثلاث جزر في المضيق هي:" أبو موسى، طنب الكبرى، طنب الصغرى". وكرد على أي فعل إيراني لن يستطيع الأسطول البحري الأميركي حماية ناقلات النفط في الخليج تبعاً لعدة أسباب:

1. جغرافية المنطقة وقدرة الأسطول البحري على المناورة في تخوم متراصة مع توفر وسائط الشحن الهامة كما أن التواصل فوق سطح الماء وتحت سطح الماء محدود وقلة عدد سفن الأسطول البحري الأميركي المتواجدة في المنطقة وحتى السلاح الجوي الذي يمكن نشره في هذه المهمة.
2. إذا حدثت المجابهة بين إيران والولايات المتحدة فإن الخليج سوف يصبح أخطر مكان ملاحي للسفن المدينة والعسكرية ومع وجود التخوم الصغيرة للخليج فإن سوف تتعرف بالتأكيد على أماكن وجود هذه السفن وبالتالي تتمكن من إطلاق عدد كبير من الصواريخ ضدها. وحتى لو أن جميع الصورايخ لن تكون قادرة على إصابة الأهداف إلا أن بعضها سوف يتمكن من ذلك.. وإذا تنبأنا بالنتائج المرتبطة بأسعار التأمين وأسعار النفط وتأثير ذلك على الغرب واليابان فلن يكون هذا أمراً مشجعاً. إن الرادارات المتقدمة تقنياً على سفن الأسطول البحري تستطيع اكتشاف الصواريخ فقط بعد أن تتجاوز الأفق وإذا فكرنا بسرعة الصاروخ فلن يتوفر للسفن الوقت الكافي للرد وتدمير الصاروخ هذا إذا تجاهلنا ذكر ما سيحدث إذا تم توجيه أكثر من صاروخ على هدف واحد.
3. ربما يتواجد في المنطقة مصادر قوة قليلة تدعم الأسطول الجوي فالناقلات القيمة سوف تبقى في بحر العرب فيكون دعم الصراع الجوي محدوداً.. وليس من المؤكد أن مصادر قوة جوية أخرى سوف يتم

السماح لها بإرسال مهمات جوية ضد أهداف إيرانية من بلدان تلك المنطقة.

من المؤكد أن تتضمن الضربة الموجهة إلى إيران مخاطر على إسرائيل ولكن تبقى هذه المخاطر مقبولة بالتأكيد أكثر من ضربة عام 1981. وبسبب عدم التوازن في الفاعلية العسكرية فمن غير المحتمل أن يحاول الإيرانيون شن هجمة عادية على إسرائيل.. وعلى أية حال إذا حدثت هذه المحاولة فإن قوات الدفاع الإسرائيلية سوف تتمكن مواجهتها. والاحتمال الأكبر أن إيران سوف تستغل استخدام مساعدة منظمة حماس، الجهاد الإسلامي الفلسطيني، وحزب الله للانتقام من المهاجمين لها ولكن الذي سيعيق هذا هو قدرات هذه الجماعات على تقديم العون اللازم وليس من الواضح أن إيران سوف تستخدم هذه الجماعات بالشكل الناجع. ومع ذلك فإن كلاً من حماس والجهاد الإسلامي الفلسطيني واقعان تحت ضغوط قوات الأمن الإسرائيلي على اعتبارهما جماعتين إرهابيتين وبالنسبة لحزب الله فإنه سوف يتريث كثيراً قبل أن يذعن لطهران هذه المرة بسبب رغبته في عدم وقوعه تحت أنظار القوة العسكرية الأميركية.

مهما يكن الأمر.. ينبغي ألا يتم الفعل العسكري مباشرة بل يجب على الولايات المتحدة تطبيق الضغوط الدبلوماسية والاقتصادية على إيران أولاً.. وهذا ما يحدث الآن.. فأميركا تحاول عزل الإيرانيين بفرض الضغط على الروس، ولو أنه لم يكن حلاً ناجحاً حتى الآن، بسبب التعاون النووي بينهما ومفاعل"بوشهر". وعلى خلاف ذلك فقد كان هذا الأسلوب ناجحاً في إقناع اليابانيين بالتهديد بإلغاء اتفاقية بينهما مقدارها 2 بليون دولار لتطوير جزء من حقول نفط"آزاد جان" في مقاطعة "خوزستان" وهي أكبر حقول النفط في إيران بغزارة 26 بليون برميل. وإضافة إلى هذا لابد من زيادة الدعم السري للحركات المنشقة داخل وخارج إيران للتوصل إلى سقوط مثالي وسريع لنظام الحكم الحالي.. ولكن هذا مستبعد.. مع أن دعم الجماعات المنشقة يبقى مفيداً لأنها تصبح مصادر هامة للمعلومات السرية وللقادة بعد تغيير النظام. يلزم على الولايات المتحدة اللجوء إلى القوة فقط إذا لم تُبد الحركات المنشقة دلائل على قدرتها في قلب النظام بالسرعة التي تمت مع ثورة 1979 وحينما تفشل الجهود الدبلوماسية والضغوط الاقتصادية الشديدة في تحقيق

الأهداف المطلوبة.

لا شك أنه من الأفضل أن تنجح السبل الأخرى في تسوية الوضع لأن إكراه إيران سيأتي من التهديد بفعل عسكري أو الاستخدام الفعلي للوسائل العسكرية بسبب ضغوط الوقت التي تواجهها الولايات المتحدة. وعلاوة على ذلك كله، يجب على الولايات المتحدة أن توقف البرنامج النووي وينبغي تحديد الوقت لذلك.. فإذا لم يتم إيقاف البرنامج مع عام 2005 فيجب على الولايات المتحدة أن تهاجم المنشآت النووية لإيران كما فعلت إسرائيل مع العراق. ويجب أن يتحول اهتمام الولايات المتحدة إلى كوريا الشمالية لوقف برنامجها أيضاً. وإذا اعتبرنا أن كوريا الشمالية تمتلك أسلحة نووية وأن هذا لا يتوفر لدى إيران فإن التصرف ضد كوريا الشمالية يجب أن يحظى بالأولوية كفعل عسكري.

حتى لو كان من الضروري قلب الحكم للتأكد من توقف البرنامج النووي فإن في هذه الحركة مجازفة أكيدة. إن تغيير نظام الحكم ذو طبيعة صعبة ولا يمكن التنبؤ بنتائجه.. فلربما ينتج عنه حكومة موالية للحزب أو حكومة ديمقراطية أو عكس ذلك تماماً. وإذا نجح تغيير نظام الحكم فإن الولايات المتحدة سوف تصبح مسؤولة عندئذ أمام عامة الناس في المنطقة وأي نظرة إلى الحكومة الجديدة على أنها مجرد دمية سوف يدمرها تماماً68. الأمر الهام على الخصوص هو ألا تصبح الولايات المتحدة محور التركيز لأية جماعة أو لأي شخص لديه شكوى ضد الحكام الجدد69.

أما فيما يتعلق بسورية فيجب على الولايات المتحدة أن تمارس ضغوطها على دمشق بشأن المواضيع التالية: إنهاء دعمها للإرهاب، طرد إدارات الجماعات الإرهابية من سوريا، ضمان عدم التسلل من حدودها مع العراق، التخلص من أسلحة الدمار الشامل لديها. وقد هدد نائب وزير الدفاع الأميركي"بول وولفويتز" سوريا يوم5 نيسان 2003 عندما أعلن قائلاً:" لابد من تغيير نظام الحكم في سوريا"70 وبعد شهر كرر"وولفويتز" هذه الرسالة فوجهها إلى سوريا وإيران:" توقفوا عن التدخل في كل في شيء.. هذا المطلب الأول.. لا تكونوا مثار الشغب في العراق"71.

ومع هذا التهديد وبعد إنذار"وولفويتز" بوقت قصير أصبحت لغة الإدارة منمقة إلى

حد ما.. وأصبحت حكومة الرئيس"بشار الأسد" أكثر عوناً في الحرب على الإرهاب. فقد ساعدت سوريا الولايات المتحدة في تحديد مكان ثم اعتقال رجال المباحث السرية لتنظيم القاعدة بما فيهم"محمد حيدر زمار" وهو الشخص الذي يُعتقد أنه قد وظف"محمد عطا" قائد العمليات الهجومية في 11 أيلول. وقد ساعدت سوريا أيضاً واشنطن بتزويدها بالمعلومات السرية التي يُعتقد أنها قد أحبطت هجمات القاعدة ضد المصالح الأميركية في الخليج عام 2002. وفي تموز 2003 تم ترحيل بعض القوات السورية من منطقة"البترون" و"عكار" في شمال لبنان إلى سوريا وكذلك تم انسحاب حوالى 1000 جندي من ضواحي بيروت في خلدة وعرمون. كما توقف عن دعمها لحزب العمال الكردي تحت ضغوط عسكرية من تركيا.

على الرغم من مساعداتها لواشنطن فقد فشلت دمشق في إدراك الحقيقة الاستراتيجية الجديدة في منطقة الشرق الأوسط. فما زال عليها فعل الكثير لإرضاء واشنطن وهذا ناتج خصوصاً من دعمها للعراق أثناء عملية تحرير العراق. لقد كانت سوريا المسلك الرئيس لعبور الأسلحة إلى العراق قبل وأثناء الحرب. فهنالك شك بأن صواريخ مضادة للدبابات(Kornet- E) روسية الصنع قد تم نقلها إلى العراق عبر سوريا - رغم أنه لم يتكشف الدليل عن وجود هذه الصواريخ في العراق لغاية تموز 2003 - ولكن كان هنالك دليل على وجود مناظير GPS ومزودات طاقة الدبابات (T-62 وT-72)72.

وفي 28 آذار 2003 أثناء قيام الحرب أفاد"رامسفيلد" قائلاً بأن أجهزة الرؤية الليلية قد عبرت من سوريا إلى العراق وطالب دمشق بإيقاف تدفق الأسلحة وقد كرر طلبه هذا يوم3 نيسان. وبعد ذلك وبسبب سرعة انهيار العراق اتضح أن سوريا قد توقفت عن تمرير الأسلحة. وسمحت سوريا بلجوء كبار المسؤولين العراقيين إليها وخصوصاً أولئك الذين من الممكن أن يورطوا سوريا في مساعدتها للعراق في برامج الأسلحة غير المشروعة ومرورها عبر أراضيها أثناء قيام الحرب. والأكثر من ذلك أن سوريا سمحت لأولئك الذين ساندوا صدام حسين من المجاهدين العرب بعبور أراضيها إلى العراق في محاولة للدفاع

عن النظام المنهار.. وقد استمرت في سوريا بذلك حتى بعد الحرب.. وعقب عملية تحرير العراق توالت التقارير بأن مئات المقاتلين قد عبروا سوريا لمهاجمة القوات الأميركية والعراقيين الموالين للأميركان وكان هؤلاء يستفيدون من الأراضي السورية كملجأ لهم73.

هنالك مطلبان رئيسان يتم معهما إنهاء دعم سوريا للجماعات الإرهابية وإيقاف برامج الصواريخ وأسلحة الدمار الشامل لديها. فلطالما دعمت سوريا الجناح المسلح لحزب الله في لبنان للإبقاء على نفوذها هنالك وكمحاولة لإنكار الأمن على طول حدودها مع شمال إسرائيل74. لقد مارست الولايات المتحدة الضغط على سوريا لإغلاق المكاتب الموجودة في دمشق والخاصة بحزب الله والمنظمات الإرهابية الفلسطينية والتي تتضمن: حزب أبو موسى، جماعة أحمد جبريل، حماس، الجهاد الإسلامي، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والقيادة العامة للجبهة، وإنهاء جميع التسهيلات التي تقدمها لهم سوريا ولكن لم تفعل ذلك حتى الآن.

تبعاً لاهتمامات واشنطن بالانتشار في المنطقة فإنها ترى بأن سوريا تمتلك برنامج أسلحة كيماوية وبيولوجية وبأنها تعزز من قوة صواريخها قصيرة المدى وهي (سكود - B، سكود C، سكود D،) التي يتراوح مداها على التوالي إلى 300 كم، 550 كم، 650 كلم وهي تتلقى المساعدات من الصين، إيران، كوريا الشمالية، وروسيا. وليست سوريا عضواً في بروتوكول جنيف لعام 1925 الذي يحظر استخدام الأسلحة الكيماوية والبيولوجية في الحروب. ومن المعروف أن لدى سوريا القدرة على امتلاك أسلحة كيماوية منذ ثلاثين عاماً فقد تلقت غاز الخردل من مصر كما أن لديها مواد"السارين والسيانيد" أيضاً وتمتلك عامل الأعصاب VX الذي حصلت عليه من السوفييت والذي تنتجه حالياً في منشآت موجودة في دمشق وحمص75. ومن المعتقد أن سوريا تقوم بتطوير قدراتها الهجومية بالأسلحة البيولوجية رغم أنه من غير المؤكد أنها قد أنتجت أسلحة بيولوجية بعد76. لقد وقعت سوريا في عام 1972 الاتفاقية الخاصة بالأسلحة السامة والبيولوجية ولكنها لم تصادق عليها فقد طورت مادة"البوتلوينوم، وذيفان الرايسين والكوليرا والجمرة الخبيثة" بمساعدة من الروس.

على خلاف إيران، يمكن للولايات المتحدة أن تمارس ضغوطها على سوريا في سعة من الوقت حيث أنها لا تمتلك برنامج أسلحة نووية.. ولكن الأمر مع سوريا يجب أن يتعدى مجرد طرد الجماعات الإرهابية من دمشق وأن تتوقف فوراً عن دعمها لحزب الله وجعله قناة لدعم إيران لتلك المنظمة الإرهابية.. لابد من إضعاف حزب الله ولكن لابد في الآن نفسه أن تتيقن الولايات المتحدة من أن تنظيم القاعدة لن يحل محله كسلطة مهيمنة على جنوب لبنان.. ويكون الوضع المثالي بعودة السيادة للحكومة اللبنانية على الجنوب وعلى لبنان ككل.. وهذا بالطبع يتضمن انسحاب سوريا من لبنان.. ولكن ينبغي عدم حدوث هذا قبل الأوان المناسب حيث تتمكن الحكومة اللبنانية من فرض النظام والتأكد من أن تنظيم القاعدة أو أي تنظيم مماثل آخر لن يجد سبيله ليستوطن في لبنان. يجب أن يكون الهدف الأول للولايات المتحدة هو إنهاء الدعم السوري لحزب الله.. ومن المفضل أيضاً لو تتمكن الولايات المتحدة من إجبار سوريا على إيقاف برامج أسلحة الدمار الشامل لديها وأن تسمح للمفتشين الدوليين بالتأكد من ذلك. ورغم الأهمية الحالية القصوى للسلطة الأميركية على المنطقة إلا أنه من الأفضل التقدم بخطى جديدة على جدول الأعمال الخاص بسوريا.. فحزب الله تهديد يتعاظم بشكل ملموس ضد المصالح الأميركية أكثر من التهديد الذي يشكله برنامج أسلحة الدمار الشامل لدى سوريا. وطالما حافظت الولايات المتحدة على وجودها بمحاذاة الحدود السورية فسوف يكون نفوذها على دمشق أكبر مما كان في أي وقت مضى.. وإذا تمت مجابهة إيران فعلياً فسوف تتمكن واشنطن عندئذ من إجبار سوريا على إجراء تغييرات جذرية.

II-D - جدول أعمال الولايات المتحدة في الشرق الأوسط: التهديدات الإرهابية - القاعدة وحزب الله:

يعتبر التهديد الذي يمثله تنظيم القاعدة للولايات المتحدة في أراضيها وللمصالح والقوات الأميركية في منطقة الشرق الأوسط تهديداً عظيماً. وتبعاً لما قاله وزير الدفاع الأميركي "دونالد رامسفيلد" فإن الإرهاب يشكل التهديد الأول.. وقد قال بأن التهديدات الرئيسة في القرن الحادي والعشرين اختلفت عما كانت عليه في القرن العشرين.. والسبب في ذلك أن الدول التي تهدد أميركا مسلحة بأسلحة دمار شامل ولها علاقة بجماعات إرهابية، وأن هنالك مناطق في العالم لا حكومة لها حيث تجد الجماعات الإرهابية مثل تنظيم القاعدة مكاناً تزدهر فيه77. ولكن يمكن أن نضيف بأن التهديدات التي تمثلها بلدان مثل الصين ربما تعادل التهديدات التي كانت في القرن العشرين وتتخطى التهديدات التي تمثلها القاعدة في العقود القادمة. ومع ذلك كله فإن "رامسفيلد" مصيب فيما يتعلق بالوقت الحاضر.

ولكن الحرب ضد تنظيم القاعدة تمنح أميركا الفرصة لإضفاء الشرعية على توسعها في منطقة الشرق الأوسط.. تماماً كما حدث في حالة "مرفأ بيرل" والتهديد الذي شكله توسع السوفييت مما أضفى صفة الشرعية على الوجود الأميركي في أوروبا وشمال آسيا.. وبالطريقة ذاتها فإن الحرب ضد الإرهاب تضفي الشرعية على الوجود الأميركي في منطقة الشرق الأوسط. وإذا تم تفسير توسع الامبراطورية الأميركية في منطقة الشرق الأوسط من منطلق محاربة الإرهابيين المسؤولين عن هجمات 11 أيلول فإن هذا التفسير يضفي الشرعية على التوسع الأميركي لدى الشعب الأميركي وآراء النخبة في الولايات المتحدة. لقد جعلت أميركا من أحداث 11 أيلول مأساة تماثل "مرفأ بيرل" ولكنها

هنا مأساة تتيح لها توسيع مدى مصالحها والتقدم بامبراطوريتها.

وعلى مدى عامين من الحرب التي شنتها إدارة بوش على الإرهاب فقد أحرزت تقدماً ملحوظاً نحو تحقيق أهدافها لتدمير تنظيم القاعدة الإرهابي. لقد خلقت الولايات المتحدة تحالفاً مقنعاً ضم حلفاء أقوياء مثل بريطانيا العظمى، استراليا، وشركاء جدد ولكنهم ذوي أهمية وهم باكستان واليمن. لقد حقق هذا التحالف سقوط حكومة طالبان في أفغانستان ووضع تنظيم القاعدة تحت ضغوط هائلة في جميع أنحاء العالم. لقد عملت إدارة بوش جاهدة على حرمان القاعدة من إيجاد أي مأوى وقتلت أو اعتقلت أعضاءها، ودبت الفوضى في خلاياها في جميع أنحاء العالم وسلبت القوة من الجماعات الإرهابية المتحالفة وحاولت إضعاف قدرتها على تجنيد المزيد من الإرهابيين، واحتجزت إيداعاتها المالية والأهم من هذا كله أنها حالت دون امتلاكهم أسلحة نووية أو إشعاعية أو بيولوجية أو كيماوية.

لم يبدأ النصر الأميركي ضد تنظيم القاعدة مع الاقتناع بإمكانية هزيمة التنظيمات الإرهابية فقط وإنما مع إمكانية هزيمتها بالفعل. فقد تمت هزيمة جميع التنظيمات الإرهابية اليسارية تقريباً التي تواجدت في فترة الحرب الباردة.. مثل "Weather Underground" في الولايات المتحدة و"الجيش الأحمر" في اليابان و"الحزب المنشق عن الجيش الأحمر" في ألمانيا و"الألوية الحمراء" في إيطاليا. لقد حاربت بريطانيا "الجيش الجمهوري الإيرلندي" حتى جمدته تماماً، ونجح الجزائريون في قمع "GIA"، وهزم الإسرائيليون "منظمة التحرير الفلسطينية" مثل الأردنيين، وقصم المصريون ظهر "جماعة الإخوان المسلمين" و"حركة الجهاد الإسلامي المصرية". وصحيح أنه لا ينبغي الحط من قدر تنظيم القاعدة وشأنه بما له من نشاط وفعالية وكفاءة والقدرة الكبيرة على التأقلم إلا أن فيه ثغرات يمكن هزيمته من خلالها.

لقد قيل بأن هذه الحرب ستدوم طويلاً ربما كما دامت الحرب الباردة وسوف يكون فيها العديد من حالات النجاح والفشل. ومن المحتمل ألا تنتهي بمجرد ضربة عنيفة قاضية وإنما مع الأنين حيث تتمزق هذه التنظيمات وتتحول إلى حالة العجز التام وتموت

تدريجياً مع التغييرات التي تحصل في الظروف السياسية للعالم الإسلامي وتصبح مجرد ديناصور في عصر الثدييات البائد.. أو ربما مثلما آلت إليه حال "الجيش الجمهوري الإيرلندي".. وسوف تنصهر القاعدة في الحياة السياسية القائمة على أسس وطيدة في العالم الإسلامي.. وبرغم كل التقدم الذي تم يبقى هنالك الكثير مما يجب إنجازه لهزيمة القاعدة وتحقيق الفوز في الحرب على الإرهاب.

لقد كان في صالح الإدارة الأميركية اتخاذ العديد من الخطوات الصحيحة لأنها قد عملت جاهدة على ممارسة ضغوط كثيرة على تنظيم القاعدة بأسرع ما يمكن لإضعافه.. فقد طردت التنظيم من معسكرات تدريبه في أفغانستان وقطعت الطريق على عدد كبير من المصادر التي كانت تمول التنظيم وهي تحاول إبادة جميع خلاياه المعروفة حالياً في ألمانيا وكينيا وماليزيا عن طريق ممارسة الضغوط على حكومات هذه البلاد لتدمير خلايا هذا التنظيم في بلادها.

لقد تحدثت الإدارة الأميركية عن استعدادها لتدمير تنظيم القاعدة وقد ساعدها بالأفعال التي أقدم عليها للقيام بذلك التدمير.. والدليل على هذا هو اعتراف مسؤولين أميركيين بتبني سياسة "الضغط والإكراه" على حوالى 3000 عضو مشتبه بانتمائه إلى تنظيم القاعدة ومساعديهم المتجزئين في شتى أنحاء العالم منذ أحداث 11 أيلول. وهذا يعني أن هؤلاء الأعضاء المعروفين أو المشتبه بهم قد تم إضعافهم على يد القوات الأميركية وتم تسليم بعضهم إلى مخابرات صديقة مثل المخابرات المصرية أو المغربية، ليتم تعذيبهم على أيدي هؤلاء.. ويتضمن هذا النجاح القبض على "رامز بن لاشف" في باكستان، "عمر الفاروق" في أندونيسيا، "عبد الرحيم النشيري" في الكويت، "محمد الدربي" في اليمن. وقد تم القبض على جميع هؤلاء كنتيجة للمعلومات السرية التي أدلوا بها أثناء استجوابهم من قبل الحلفاء لأميركا.

ورغم أن الإدارة الأميركية لم تلفت الانتباه إلى تعاضدها مع إسرائيل في استهداف وقتل الإرهابيين، إلا أن إسرائيل اعتمدت وبشكل صريح على القتل المستهدف منذ بدء الانتفاضة الثانية في أيلول من عام 2000 في محاولة للقضاء على حماس، الجهاد

الإسلامي الفلسطيني، والجماعات الأخرى. إن طاقم الأمن الإسرائيلي، وغالباً طاقم الأمن المحلي أو "شين بت" ينجح في التسلل واختراق خلايا الإرهابيين فيتعرف على هويتهم فإما يقتلهم أو يأسرهم لأهداف استخباراتية فيتم استجوابهم أو تحويلهم إلى عميل مزدوج. وحسب التقديرات التي يقدمها الإسرائيليون فإنهم قد حالوا دون وقوع هجمات انتحارية بنسبة 80% أو ربما 90% ويقولون أن هذه النسبة تزداد تحسناً.. فقد توصلوا إلى أن هذه أفضل طريقة للتعامل في حربهم لاستنزاف الجماعات الإرهابية الفلسطينية. لقد شهدنا حالة للقتل المستهدف في تشرين الثاني 2002 أثناء محاولة تفجير البارجه U.S.S Cole التي كان على متنها عقولاً مدبرة للمشاريع في اليمن. ولاشك أنه سيكون هنالك حالات عديدة أخرى مماثلة في هذه الحرب الطويلة.

لم يسبق لتنظيم القاعدة أن تعرض لكمّ هائل من الضغوط كما يحصل الآن وهو يضعف بالتدريج، وبهدف إضعافه أكثر تسعى الإدارة الأميركية جاهدة لفصل القاعدة عن الجهات التي تساندها في الدول الأخرى.. ويمكن أن يكون هذا الدعم غير مباشر كالدعم الذي يقدمه اتباعهم في المملكة العربية السعودية، وليس من المهم هنا كيف يتم، إنما المهم أنه لابد من إنهائه لدرجة اليقين من أن القاعدة لا تتلقى مساعدات مالية، أو مأوى، أو أسلحة دمار شامل من أية دولة. وحتى الشركاء في الحرب على الإرهاب مثل باكستان.. يجب أن تتم مراقبتهم بدقة للتيقن من أن مساعدي القاعدة ضمن البلاد - مثل علماء الأسلحة النووية - لا يساعدون التنظيم وللتأكد أيضاً من أن الحكومة الباكستانية لا تتظاهر بعدم معرفتها بما يحدث بشأن هذه المساعدات.

ولكن الدولة الأولى في تقديم المساعدات الهامة للقاعدة وفلول طالبان هي إيران. وتلتزم الإدارة الأميركية الصمت حيال موضوع الدعم الإيراني للقاعدة. فإيران هي الفجوة الحقيقية في جهود الإدارة نحو إنهاء الدعم للقاعدة.. ولابد من وضع حد لهذا.. ولكن ربما يكون صمت إدارة بوش تكتيكياً.. فربما نرى في المستقبل القريب تحرك الإدارة ضد إيران وإعلانها بصوت عالٍ ما نعرفه نحن منذ الآن: إن إيران تأوي وتساعد تنظيم القاعدة وترعى الإرهاب.. في الواقع أننا إذا أردنا الحكم على أولوية الدول الثلاثة

في محور الشرّ من منطلق معيار دعمهم للقاعدة والإرهابيين الآخرين فإن إيران ستكون على رأسهم وتتحقق فيها أولويات الهجوم قبل العراق وكوريا الشمالية.

والخطوة التالية التي ينبغي على إدارة بوش أن تتخذها هي أن تأمر الذين في مراكز السلطة بأن يتعاملوا مع الإرهاب بالفعل الجدي وليس بمجرد الشعارات. في الحقيقة أن الحكومة الأميركية، عقب أحداث 11 أيلول، قد دفعت بأفضل أبنائها إلى الحرب على الإرهاب ويجب أن تكون مستعدة لفعل ذلك لزمن طويل - ربما يكون 50 عاماً - الحقيقة أن الأفعال المضادة للإرهاب كانت في حالة ركود بالنسبة لوكالة الاستخبارات المركزية ومكتب التحقيق الفيدرالي وآخرين قبل أحداث 11 ايلول.. ومع بعض الاستثناءات لم تهتم الغالبية وانتهى الأمر إلى طريق مسدود.. وقد تغير هذا الموقف الآن ولكن لابد من تسارع الخطى.. فتغيير المؤسسات كان أمراً هاماً كإنشاء "منظمة الاستخبارات المحلية" ولكن الرسالة التي ينبغي على الولايات المتحدة إرسالها عالمياً هي أن الإرهاب واحد من تهديدين يواجهان الأمن القومي في الولايات المتحدة. والخطر الثاني هو تنامي قوة الصين، ولو أن التهديد الذي تشكله الصين يتضح لسعت الولايات المتحدة إلى تكليف المهمة لأشخاص على مستوى عالٍ من الكفاءة.. مع بداية الحرب الباردة كانت الحكومة تمتلك عدداً قليلاً جداً من الخبراء السوفييت وقد تغير هذا بسرعة كبيرة حالما اتضح أن الخبير السوفياتي هو الطريق إلى القمة.. فتوسعت الجامعات الأميركية في تعليم الروس وأضافت الدراسات السوفياتية إلى مناهجها الجامعية.. فأنتجت صناعة المعدات الدفاعية أسلحة معدة خصيصاً لمحاربة الاتحاد السوفياتي وأنتجت أجهزة استخباراتية خاصة لمراقبته. وقد درست "بُؤَر الفكر" الاتحاد السوفياتي عن كثب وطورت ألغاز الحكومة الروسية في شتى العلوم.. والمطلوب اليوم خطوات مماثلة تجاه عدو مجهول وغريب عن الولايات المتحدة حكومة وشعباً مثلما كان الاتحاد السوفياتي في عام 1945.

إذا نظرنا إلى الإرهاب في منطقة الشرق الأوسط بنظرة أكثر شمولية فسوف نجد نوعين من التنظيمات الإرهابية في هذه المنطقة ولكل منهما تأثيره السلبي على المصالح الأميركية وهما: الجماعات الإرهابية الفلسطينية وحزب الله.. حماس والجهاد الإسلامي

الفلسطيني يشكلان تهديداً لإسرائيل ولابد من تدميرهما.. ولكن الأفضل أن يقوم الإسرائيليون أنفسهم بهذا العمل وليس الولايات المتحدة وذلك لسببين:

أولاً - أن حماس والجهاد الإسلامي الفلسطيني ينطلقان من دافع وطني ولا يوجد لهما روابط هامة مع تنظيم القاعدة حالياً. أما بشأن تلقيهما دعماً كبيراً من حزب الله وإيران وسوريا، فينبغي على الولايات المتحدة ممارسة الضغوط اللازمة على هؤلاء لإنهاء دعمهم للفلسطينيين وبرغم ذلك فإن حماس والجهاد الإسلامي الفلسطيني حالياً لا يمسان المصالح الأميركية بشكل مباشر في منطقة الشرق الأوسط لأنهما حالياً يشكلان تهديداً منخفض الشدة بالنسبة لإسرائيل.

ثانياً - إن الإسرائيليين قادرون على مواجهة تهديدات هاتين المجموعتين. إن جماعة "شين بت" ذات فعالية كبيرة في إيقاف الغالبية العظمى من الهجمات قبل تنفيذها ضد إسرائيل. وينبغي أن تكون الجهود التي تبذلها "شين بت" واحدة من أنجح الحملات المضادة للإرهاب في التاريخ -حتى لو كانت الأقل اعترافاً بما تفعله - وفي حين تجد إسرائيل نفسها مقحمة في حرب الاستنزاف البشعة هذه مع هؤلاء الجماعات فإنها سوف تنجح في قمعها إذا حافظت على الرغبة والإرادة مع وجود قدرات عالية الكفاءة عسكرياً واستخباراتياً ومع إيجاد بديل مقبول لعرفات سياسياً. ومن الممكن أن تقدم الولايات المتحدة العون لإسرائيل في صراعها مع هذه الجماعات الإرهابية وهذا ما سندرسه الآن.

على خلاف حماس أو الجهاد الإسلامي الفلسطيني، فإن حزب الله يشكل تهديداً هاماً جداً بسبب قدراته ونشاطه. إن قدرات حزب الله تعتبر هائلة بالنسبة لتنظيم إرهابي لأنه يتلقى الأسلحة والعتاد الحربي من إيران وسوريا. لقد عبرت شحنات من الأسلحة الإيرانية خلال سوريا وهي تتضمن: "zelzal-2 SRBM, 240mm"، صواريخ "كاتيوشا" وصواريخ أرض - أرض "فجر 3، فجر 5"[78]. ولكن حزب الله يحرص تماماً على البقاء خارج الساحة البصرية لأميركا فهو يدرك تماماً بأن هنالك فرصة استثنائية للسياسات الدولية في منطقة الشرق الأوسط بعد عملية تحرير العراق.

لقد وجهت الولايات المتحدة ثلاث قرائن ضد حزب الله:

أن هنالك صلات تنظيمية وتنفيذية بين حزب الله والقاعدة فإذا تحقق هذا فإن الولايات المتحدة سوف تتصرف ضد حزب الله بالسرعة والقوة ذاتها التي تصرفت بها حيال الجماعات التي تربطها صلات وثيقة مع القاعدة مثل جماعة "أبو سياف" و"جبهة تحرير مورو الإسلامية" في الفيليبين. والدليل على هذا الاتهام يتأكد بالعدد الكبير نسبياً لأعضاء من حزب الله والقاعدة والتعاطف والتآزر القائم بينهم في الأرجنتين والبرازيل والباراغواي" وهي منطقة ذات حدود مشتركة" وهذا هو المكان الذي يتم فيه الاتجار بالأسلحة والمخدرات ويعيش فيه عدد كبير من اللبنانيين والمهاجرين الآخرين العرب لأسباب سياسية وفي هذا المكان يحظى حزب الله بدعم كبير. وإضافة إلى ذلك أن أحد أهم الإرهابيين المطلوبين لمكتب التحقيق الفدرالي وهو "عماد مغنيه" موجود في المنطقة وتشك بعض السلطات أنه صلة الوصل بين القاعدة وحزب الله.. ومن المعروف أنه قد سبق له القيام بهذا الدور ما بين فرع الاستخبارات العسكرية لحزب الله وإيران وسوريا ولكنه لا يوجد دليل قاطع على صلته بالقاعدة.

يقترح بعض المحللين بأن مكاسب حزب الله من تعامله مع القاعدة ستكون قليلة.. يقول "ماتز فارن" من جامعة ستوكهولم الذي درس تنظيم حزب الله لزمن طويل: "لن يكسب حزب الله شيئاً إذا تعامل مع القاعدة بل إنه سيلطخ صورته كحركة شعبية مسؤولة وذات علاقات عمل جيدة مع الحكومة اللبنانية كما أنه سيجعل علاقاته مع سوريا في وضع أصعب79" وأضف إلى ذلك أن طالبان والقاعدة قد نفذوا مذابح ضد الشيعة مما أثار غضب إيران وحزب الله.

إن حزب الله هو أحد أهم الموردين للمال والسلاح للجماعات الإرهابية الفلسطينية مثل حماس والجهاد الإسلامي الفلسطيني والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين القيادة العامة. ويدّعي الإسرائيليون أن له تواجداً في الضفة الغربية وغزة وبأنه كان صلة الوصل بين القاعدة وحماس والجهاد الإسلامي الفلسطيني80 ورغم إنكار حزب الله وحماس لهذه الصلة على لسان "عماد العلمي" العضو في المكتب السياسي لحماس

الذي يقول أن إثبات صلة كهذه ستقدم مساعدة عظيمة لإسرائيل وبأن "الجائزة الكبرى التي ينتظرها الإسرائيليون هي إنشاء علاقة بين القاعدة وحزب الله وسوريا وإيران.. ولكن لا وجود لأي صلة من هذا النوع"81. لقد تركز الاهتمام على وجود صلة بين القاعدة وحزب الله بسبب الوجود المتزايد لأعضاء القاعدة في لبنان. إذ تقوم الجماعة الإرهابية "عصابة الأنصار" بعملياتها في مخيم اللاجئين الذي يضم حوالى 100.000 شخص قرب صيداً ويبدو وكأن بينهم 200 عنصر من طالبان والقاعدة82. وفي حزيران 2003 هاجمت هذه الجماعة محطة تلفزيونية يملكها رئيس الوزراء اللبناني الذي تربطه صلات وثيقة بالمملكة العربية السعودية.. وقد تم تفسير هذا الهجوم على أنه اعتداء على المصالح السعودية فكان هذا الأمر مدعاة لقلق الولايات المتحدة التي تخشى أن يصبح لبنان والمنطقة التي يسيطر عليها حزب الله ملاذاً آمناً لتنظيم القاعدة.

وحتى لو كان الإنكار صحيحاً فمما لا شك فيه أن كلاً من حزب الله والجماعات الإرهابية الفلسطينية ينظران إلى إسرائيل على أنها عدو لدود ولاشك في وجود تعاطف ودعم قوي بينهما.. فحزب الله، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين القيادة العامة والجبهة الشعبية لتحرير القيادة العامة، فتح الانتفاضة يتحدثون عن علاقة استراتيجية بينهم وبأنهم قد تعاونوا معاً في شن هجمات على أهداف إسرائيلية في جنوب لبنان83.

يعتبر تنظيم حزب الله تهديداً مباشراً للولايات المتحدة ومصالحها في منطقة الشرق الأوسط، والذي قدم هذه التهمة بهذه الصيغة القوية هو السيناتور الأميركي "بوب غراهام" (D-FL) الذي أطلق على حزب الله تسمية "المنظمة الإرهابية الأكثر فعالية وشراً في العالم" وبأنه قد قتل العديد من المواطنين الأميركيين منذ عام 1980 وبأنه يشرف على إدارة الخلايا الإرهابية في الولايات المتحدة الذين من المنتظر أن يشنوا ضربات على أهداف داخل الولايات المتحدة84. صحيح أن حزب الله قد قتل الأميركيين وبأنه يدير الخلايا الموجودة في الولايات المتحدة.. ولكنه أدان الهجمات الإرهابية في 11 أيلول وألقى باللوم على القاعدة في استناد تفسيرها للإسلام في أحداث 11 أيلول ويبدو بأن خلاياه تعتمد على التمويل أكثر من تنفيذ الهجمات ضد أهداف أميركية. إن التمويل الذي يتلقاه

حزب الله من الولايات المتحدة يعتبر غير قانوني حيث أن وزارة الخارجية أعلنت أنه تنظيم إرهابي.. وبرغم عدم شرعية هذا التمويل إلا أنه مكسب كبير لحزب الله. وهذا بحد ذاته يشكل عقبة كبيرة للهجمات إذ من الواضح أن أية هجمة سوف تشكل شرخاً في صفوف الحزب ومسانديه في الولايات المتحدة وتؤذي ممولبه85. هنالك شك أن التمويل القادم من الغرب قد أصبح نسبياً أقل أهمية بسبب ارتفاع الدخل الناتج عن المخدرات. ولابد للمتعاملين مع المخدرات في منطقة جنوب لبنان أن يساعدوا حزب الله في نقل المعدات والأسلحة الحربية مقابل استخدامهم للمناطق التي يسيطر عليها حزب الله. وفي كانون الأول 2002 أعلنت إسرائيل بأنه قد تم اعتقال 9 إسرائيليين يتاجرون بالمخدرات وقد كان هؤلاء التسعة يستخدمون المناطق التي يسيطر عليها حزب الله مقابل تزويد هذه المنطقة الإرهابية بالمعلومات حول انتشار قوات الدفاع الإسرائيلية86. وفي شباط 2003 كشفت السلطات الإسرائيلية عن اعتقال ثلاث إسرائيليين يهود وثماني مستوطنين في قرية الغجر الذين يعتقد أنهم كانوا يتعاونون مع حزب الله. وقد اعترف أحد هؤلاء في ذلك الوقت بأنه قد زود حزب الله بمسدسات وخرائط وصور ومعلومات أخرى مقابل السماح له بتمرير كمية من المخدرات87.

إن النظرة العالمية لحزب الله تؤدي إلى تمييز هام بين سياسة الدفاع والسياسة الخارجية للولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط، الذي يعارضها بعناد، وبينهم الولايات المتحدة كدولة ومجتمع. وفي آذار 2003 أصرّ الأمين العام لحزب الله "السيد حسن نصر الله" على القول "بأن عبارة "الموت لأميركا" تعني الموت للإدارة الأميركية... إنني لا أتحدث عن الشعب الأميركي.. فأميركا تعني المشروع الأميركي.. وأميركا تعني الصهيونية الأميركية"88.

إذا نظرنا إلى فكر حزب الله فسوف نجد بأنه من غير المحتمل أن يقوم بمهاجمة أهداف أميركية في المستقبل، كما أنه لا يوجد أي دليل على أن الحزب قد هاجم فعلاً أهدافاً أميركية. ولكن لابد أن تستمر أميركا بمراقبة حزب الله مراقبة دقيقة لكي تتأكد من أنه لن يهاجم أهدافاً أميركية، ولمراقبة قدراته وموضوع عبور المخدرات في المناطق التي

يسيطر عليها، ومن الذين يعبرون هناك ومن المقيمين في المناطق التي يسيطر عليها حزب الله. ورغم أنه أمر مستبعد حالياً إلا أنه لابد أن تتأكد الولايات المتحدة من أن التنظيم لا يمثل عشاً لإيواء عناصر القاعدة أو الجماعات الإرهابية التي تتبناها القاعدة.. كما أن الولايات المتحدة لا تريد بأن يجد زعماء تجارة المخدرات ملاذاً لهم في جنوب لبنان. والحل الأمثل لأميركا هو أن تجعل الحكومة اللبنانية تستعيد سيطرتها على مناطق الجنوب اللبناني.. ولكن هذا لن يحدث طالما بقي الإرهابيون محافظين على قوتهم وبقيت الحكومة على ضعفها. بعد إتمام جدول أعمال أميركا المتعلق بإيران ربما يسنح المجال لأميركا للعودة إلى لبنان لتقوية حكومته بحيث تستعيد سيطرتها على كامل المناطق اللبنانية.

مما لا شك فيه أن حزب الله يشكل تهديداً كبيراً لإسرائيل.. كما أن حزب الله ينفي شرعية وجود إسرائيل ويهاجم الأهداف الإسرائيلية بشكل متكرر. إن الأسباب الداعية إلى العداء الذي يكنه حزب الله لإسرائيل ثنائية:

أولاً - احتلال إسرائيل للبنان.. وقد كان حزب الله أكثر الذين هاجموا الوجود الإسرائيلي في لبنان حتى انسحاب إسرائيل من لبنان في أيار 2000.

ثانياً - وهو السبب الأكثر مدعاة للقلق بشأن الاستقرار، أن حزب الله يكن عداءاً قوياً وكراهية لإسرائيل بسبب احتلالها لفلسطين. فبالنسبة لحزب الله لن تصبح إسرائيل وجوداً شرعياً في يوم من الأيام لأن وجودها نشأ عن اغتصاب الأراضي الفلسطينية على يد المعتدين الأجانب89. ولا يمكن لحزب الله قبول وجود إسرائيل في فلسطين حالياً. وحسبما قاله الناطق الرسمي باسم حزب الله: "حتى لو مرت مئات السنين فإن وجود إسرائيل سوف يبقى وجوداً لا شرعياً".. لأنه وفقاً للعدالة الإلهية والعدالة البشرية فإن الحق يدحض الباطل ويتبرأ منه مع مرور الوقت90.

إضافة إلى ذلك فإن العدوان الذي أدى إلى وجود إسرائيل مازال مستمراً بشكل أقوى ولكن بأقنعة أكثر. إن الاعتداءات الإسرائيلية على الحقوق هو الذي دفع بحزب الله إلى تسمية إسرائيل أعظم شرّ في العالم وأعظم كراهية في عصرنا وبأن طبيعتها تجعلها العدو الأول لحضارة الأمة"91، كما أن حزب الله قد رفض تسوية الصراع

الفلسطيني الإسرائيلي بالمفاوضات لأن مجرد الإقدام على هذا فيه اعتراف ضمني بإسرائيل، وموافقة على فلسطين مقتطعة، والخوف الأكبر أن تكون الاتفاقيات النهائية منحازة لصالح إسرائيل. وبهذا وحتى مع انسحاب إسرائيل من لبنان، تبقى الرغبة في تحرير فلسطين المصدر الرئيس للهجمات التي يشنها حزب الله ولابد من توقع مزيد من الهجمات ضد إسرائيل[92]. قال الشيخ "نعيم قاسم" نائب الأمين العام لحزب الله في عام 1998 حول حالة الحرب مع إسرائيل" حتى لو انسحبت إسرائيل من جنوب لبنان فإنها ستبقى في أعيننا مستعمرة ويبقى واجب تحرير فلسطين أمراً إلزامياً على عاتقنا"[93].

ينفذ تنظيم حزب الله عمليات علنية وصريحة ضد إسرائيل مثل عملية إطلاق النيران المضادة للطائرات على طول الحدود مما أدى إلى مقتل مواطن إسرائيلي في آب 2003 وهو أول قتيل على يد حزب الله منذ انسحاب إسرائيل من لبنان في ايار 2000، كما أن الحزب ينفذ عمليات سرية كاتصالاته مع الإرهابيين الفلسطينيين وتشكيل حلقات جاسوسية تعمل داخل إسرائيل وتنفيذ هجمات داخل إسرائيل نفسها وينكر الحزب علاقته بها. وقد قام الحزب بالعديد من المحاولات للتسلل داخل إسرائيل من خلال حدودها مع لبنان وقد امتازت جميع تكتيكات التسلل التي تبناها الحزب بالكثير من الإبداع والابتكار. لقد استخدم الحزب مواطنين مدنيين من العرب الإسرائيليين والعرب المقيمين في هضبة الجولان لمساعدته في تحديد أماكن الأهداف المطلوبة داخل إسرائيل ولإيجاد مخابئ للأسلحة داخل إسرائيل بحيث يتمكن عملاء الحزب من اختراق الحدود الإسرائيلية وهم غير مسلحين.. لاشك في أن هذا الحزب خصم في غاية المكر والخداع.

ربما يكون محور الاهتمام الأكبر هو قدرة حزب الله على التسلل إلى داخل إسرائيل باستخدام أشخاص أوروبيين أو عرب أو عرب ينحدرون من أصول آسيوية بجوازات سفر كندية أو أوروبية. كان "محمد حسين مقداد" أول هؤلاء العملاء الذي سافر على متن طائرة من أوروبا إلى تل أبيب بجواز سفر بريطاني مزور. ولحسن الحظ أن الآلة المتفجرة التي كانت بحوزته قد فشلت في الانفجار بالشكل المطلوب فأصابته هو نفسه بجروح خطيرة في غرفته في فندق القدس. وفي حزيران 1998 عاد إلى لبنان أثناء عملية تبادل

السجناء. كما أن هنالك مواطناً ألمانياً كان عميلاً لحزب الله وتم اعتقاله في عام 1997 عندما كان ينوي القيام بعملية انتحارية. وتم اعتقال مواطن بريطاني يعمل لصالح حزب الله في كانون الثاني 2001. وبعد ستة أشهر استطاعت قوات الدفاع الإسرائيلية اعتقال مواطن كندي في "هبرون"[94]. وهنالك تنظيمات إرهابية أخرى مثل حماس تستخدم مواطنين من طرف ثالث لتنفيذ الهجمات. وقد كان هؤلاء الأفراد من مواطنين من بلدان أوروبية[95]. والمواطنان البريطانيان من أصل باكستاني فجّرا الملهى الليلي "Mike's Club" في تل أبيب في نيسان 2003 فقتلوا ثلاثة وجرحوا خمسين. وقد هاجم حزب الله أهدافاً إسرائيلية في مناطق بعيدة خارج المنطقة.. فقد كان هو المسؤول عن المحاولة الفاشلة للهجوم على السفارة الإسرائيلية في "بانكوك" في أيار 1994.



II-E - جدول أعمال الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط: دولة فلسطينية لا تهدد الأمن الإسرائيلي:

لقد عبر "يوجي بيرا" عن دهشته بأن جميع التوقعات كانت قاسية، وخصوصاً تلك التي تتعلق بالمستقبل، ويبدو أن النزاع الإسرائيلي - الفلسطيني سوف يخالف رأي "بيرا" بسهولة إذا تنبأ المرء بمزيد من سفك الدماء. ومع ذلك يجب أن تتمنى حدوث الأفضل وهو الاستقرار بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية مما سيخلق فلسطين مزدهرة لا تهدد أمن إسرائيل.. ولكن أيضاً يجب أن تتهيأ للأسوأ وهو ازدياد حالة حرب الاستنزاف أو استمرار العنف الذي لوحظ منذ أيلول 200096.

لقد قدمت مباحثات "أوسلو" لمحة سلام ولكنها كانت سابقة لأوانها.. ولكن لاشك أنه عند الإقرار بالدولة الفلسطينية فإن مباحثات أوسلو وجهود "اسحق رابين" ستمثل التصور المبدئي لتطورات المستقبل، ومع ذلك فإن الصراع العنيف مع الإرهابيين يجعل إسرائيل في حالة لا حراك: فهنالك حماس والجهاد الإسلامي الفلسطيني وشهداء الأقصى المتفرعة عن فتح. ومن الواضح أن هنالك خطاً متوازياً ما بين هذا الصراع والحملة الأميركية ضد القاعدة.. فإسرائيل تسعى جاهدة لهزيمة هؤلاء الإرهابيين إما بقتلهم أو باعتقالهم، أو بإعاقة قدرتهم على تجنيد عناصر جديدة، ووصول التمويل إليهم أو أن يتلقوا أية مساعدات خارجية سواء كانت مالية أو مادية. وفي الوقت نفسه لابد من إيجاد بديل معتدل ومقبول عن "ياسر عرفات" وتعزيز موقفه فهذا أمر ضروري لإنقاص انجذاب الجماعات الإرهابية إلى المنطقة.. وإسرائيل تسير قُدُماً في تطبيق هذه الخطوات وتحافظ في الآن نفسه على إرادتها في محاربة الإرهاب.

إذا نظرنا إلى الصراع الطويل بين الإسرائيليين والفلسطينيين مع ارتفاع أو

انخفاض شدته مثل حرب الثلاثين عاماً أو حرب المئة عام - فسوف يتضح لنا أن بعض أهم العناصر لإحلال السلام في هذا الصراع العصيب قد أصبحت في وضعها الملائم.. لقد حرم انهيار الاتحاد السوفياتي الفلسطينيين من قوة عظمى كانت نصيراً حامياً لهم.. وإزاحة صدام حسين عن السلطة ذو أهمية أقل ولكنه يبقى حدثاً ذا شأن.. وتطور الفكر السياسي الفلسطيني بالاتجاه الإيجابي منذ إنشاء إسرائيل بحيث أصبح أميل إلى قبول دولة إسرائيل[97].. رغم أن تشجيع هذا التطور في الفكر السياسي الفلسطيني قد يشكل ضربة للبعض مثل (Sisyphean Task). وأخيراً وبأهمية مماثلة فإن قرار إسرائيل بمقاومة الإرهاب يراوح مكانه رغم بعض التأرجح. إن قوات الدفاع الإسرائيلية مقيدة بحرب استنزاف عادية ضد خصم مرعب وذو عزيمة وتصميم. ولكن بإمكان إسرائيل أن تربح هذه الحرب إذا كان القرار الإسرائيلي ثابتاً فعلاً. وفي الواقع لقد صرح رئيس الأركان الفريق "موشي يالون" في تموز 2003، بأن نهاية الصراع باتت قريبة وبأن النصر سيكون لإسرائيل. وربما يكون هذا هو الحال بالفعل ولكن مما لاشك فيه أن الضريبة التي قدمتها حياة البشر في هذه الحرب كانت عالية جداً.. فعلى مدى حزيران 2003 قُتل حوالى 810 من الإسرائيليين ومن جنسيات أخرى في الهجمات الإرهابية للفلسطينيين (567 من المدنيين و243 من الجنود) وتم جرح 5600، أما حسب تقديرات قوات الدفاع الإسرائيلية فإن هنالك حوالى 2330 قتيلاً فلسطينياً و 14.000 جريحاً[98].

يجب أن تكون أهداف الولايات المتحدة كما يلي:

أولاً - يجب أن تتأكد الولايات المتحدة من المحافظة على الأمن الإسرائيلي.. فإسرائيل دعامة حقيقية استندت إليها الإمبراطورية الأميركية في الشرق الأوسط أثناء وبعد الحرب الباردة. وهي حليف ذو قيمة مميزة لأسباب إيديولوجية وعملية أيضاً.. فهنالك تعاون في الشؤون السياسية والعسكرية والاستخباراتية. وليس من الواضح حالياً فيما إذا كانت الدولة الفلسطينية ستكون عوناً لضمان الأمن لإسرائيل والمصالح لأميركا في منطقة الشرق الأوسط لمجرد حقيقة أن عرفات مازال في السلطة. وفي الواقع إن أعظم

تهديد موجه لحكم عرفات يأتيه من قيادات الجماعات الإرهابية وليس من "عباس" المعتدل.. ربما كان الأمر كذلك في وقت ما، أما الآن.. فلا.. إن أكثر الطرق فعالية لتنفيذ هذه الاستراتيجية هي السماح للإسرائيليين باتخاذ القرار الخاص بسرعة وحسم الصراع واتجاهه للتأكد من أنه سيتم التوصل في النهاية إلى شروط تقبل بها إسرائيل.

ثانياً: إن الولايات المتحدة التي تحرص على مصالحها في جميع بقاع العالم يجب أن تهتم بالرأي الدولي وخصوصاً العالم العربي فنتيجة لذلك يجب على الولايات المتحدة أن تشجب الأوضاع الإنسانية الرديئة في الضفة الغربية وقطاع عزة وأن تؤكد على إلقاء اللوم في هذا على القيادة الفلسطينية.. والأكثر من ذلك إن الولايات المتحدة يجب أن تظهر على أنها عنصر فعال في تنشيط المفاوضات بين إسرائيل والفلسطينيين كما فعلت في موضوع خارطة الطريق ويجب أن يتم فهم كل ما تفعله الولايات المتحدة على أنه لصالح إنهاء الصراع.. أما في الحقيقة فيجب أن تبتعد تماماً عن كل ما يهدد أمن إسرائيل.. تماماً كما يحدث في (من خلال الكأس الشفافة Through The Looking Glass) للملكة الحمراء التي تجري بعيداً وبأقصى سرعة لتبقى في مكانها.. وهكذا يجب على الولايات المتحدة أن تحمي أمن إسرائيل - أي أن تبقى في موضع الملكة الحمراء - في حين يكون المفهوم أنها تضغط على كلا الجانبين لقبول خارطة الطريق - أي النشاط المزخرف بإسراف للملكة الحمراء -.

لقد نشأت خطة السلام المسماة بخارطة الطريق لحل الصراع القائم بين الإسرائيليين والفلسطينيين من جهات أربعة هم الوسطاء في الشرق الأوسط: الاتحاد الأوروبي، روسيا، الأمم المتحدة، والولايات المتحدة الأميركية. وقد تم إعلانها يوم 30 نيسان 2003 وتدعو هذه الخطة إلى إنشاء دولة فلسطينية في نهاية عملية مؤلفة من ثلاث مراحل[99]. يهدف الطور الأول في العملية إلى إنهاء العنف وإقامة أواصر الثقة، ويجب على الفلسطينيين أن يرددوا بشكل واضح لا لبس فيه بحق إسرائيل في الوجود وحقها في إيقاف الهجمات التي يتم شنها عليها من خلال إعلان وقف إطلاق النار بشكل فوري وبلا شروط وأن تصادر جميع الأسلحة غير القانونية وأن تعمل على دب الفوضى في صفوف

الجماعات الإرهابية، وبأن تجري عمليات انتخابات حرة وعلنية وعادلة وإعادة تشكيل منظماتها الأمنية تحت إدارة رئيس الوزراء100 وبالتالي سوف يقر الإسرائيليون بتعهدهم بإقامة دولة فلسطينية قابلة للتطبيق وذات سيادة، وأن يجمدوا الاستيطان اليهودي في الضفة الغربية وغزة، وتفكيك أكثر من سبعين مستوطنة يهودية تم تشييدها منذ آذار 2001، وإيقاف تدمير منازل المقاتلين الفلسطينيين، وانسحاب جنودها تدريجياً من تلك المناطق.

وفي الطور الثاني يتم إنشاء دولة فلسطينية إقليمية مع نهاية 2003.. وفي هذه المرحلة تعمل إسرائيل على زيادة المساحة المخصصة لإقامة الدولة الفلسطينية إلى أقصى حد ولكن بما لا يتعارض مع أمن إسرائيل.. ويتم إقرار الدستور الفلسطيني وعقد مؤتمر دولي يُتوَّج بإقامة دولة فلسطينية ذات حدود إقليمية، وسوف تسعى العناصر الأربعة للبدء في حملة تعزيز الاعتراف الدولي بالدولة الفلسطينية الناشئة وعضويتها في هيئة الأمم المتحدة.

وفي الطور الثالث يتم التحضير لإقامة مؤتمر دولي ينعقد في عام 2004 ويؤدي إلى التوصل إلى الاتفاقية النهائية في عام 2005. وخلال هذه المرحلة سيتم حل العديد من المواضيع المستعصية.. فسوف يتم تقرير الحالة النهائية لوضع القدس وإقامة الحدود النهائية بين الدولتين وسوف يتم حل موضوع حق العودة، أي الوصول إلى قرار نهائي فيما إذا كان اللاجئون الفلسطينيون قادرون على العودة إلى بيوتهم الآن في إسرائيل وحل قضية المستوطنات الإسرائيلية.

لقد عبرت إدارة بوش مراراً بأنها ترغب برؤية الدولة الفلسطينية وهي ترى النور في عهده وبأنها تتعايش بسلام مع إسرائيل. وترى الإدارة الأميركية في ياسر عرفات عائقاً في طريق السلام وقد فضلت عليه رئيس الوزراء السابق "محمود عباس" وقائد قوات الأمن "محمد دحلان". وقد أشار "باول" إلى "ياسر عرفات" على أنه قائد فاشل101 وفي نيسان 2003 صرح الناطق الرسمي باسم البيت الأبيض "آري فليشر" أن طرد عرفات هو جزء من مشكلة عدم التوصل إلى إحلال السلام: "أعتقد بأن الفرصة قد

سنحت لياسر عرفات ولكنه لم يغتنمها.. حينما تقاعس عن قبول اتفاقية مع الرئيس "كلنتون" الذي عمل جاهداً ليتم التوصل إليها.. لقد كانت تلك هي لحظة الحقيقة لياسر عرفات ليُبدي فيها صدقه.. وبعدئذ أصبحت هذه اللحظة أسوأ عندما كذب على الرئيس بوش بشأن (السفينة كارين Karine-A) وعمل بنشاط بالنيابة عن الإرهابيين وكذب على الرئيس بشأن الدعم الفلسطيني بقيادة للإرهاب102. وفي الآن نفسه حظي "محمود عباس" بأعلى درجات الثناء من الإدارة الأميركية وقد وصفه الرئيس الأميركي "بأنه الرجل الذي أستطيع العمل معه103" وبرغم كل شيء وسواء أكان عرفات، عباس، أو من يحل محلهم في القيادة الفلسطينية فإنه يلزم على القيادة الفلسطينية أن توضح إن كانوا قد توصلوا إلى تفاهم فيما يتعلق بوجود إسرائيل كدولة يهودية وبأنهم لا يسعون إلى كسب دولة كخطوة لشن حرب شعواء على إسرائيل.

إن إقامة دولة فلسطينية لا تؤذي الأمن الإسرائيلي هي الحل الأمثل.. وإذا فشل هذا الخيار، يكون الخيار الثاني هو أن تعمل الولايات المتحدة بشكل مواظب وملاطف على إقامة الدولة الفلسطينية دون المساس بالأمن الإسرائيلي.. وهذا يكفي لغاية الآن.. لقد تخلى الفلسطينيون عن اتفاقات أوسلو وأصبح عبء السلام في النهاية ملقى على عاتق القيادة الفلسطينية.. يجب على الفلسطينيين أن يستيقظوا من وهم أن الاتحاد الأوروبي سوف ينقذهم من أخطائهم ويجعلهم في حالة توازن مضادة للضغوط الأميركية أو الإسرائيلية. إن على الفلسطينيين هم أن يغيروا سلوكهم إن كانوا يرغبون بالتوصل إلى تسوية سلام دائمة.

وهنالك حل آخر لإنهاء الصراع رغم أنه حل أقل قيمة.. وهو استخدام قوات الولايات المتحدة أو حلف الناتو لفرض حالة الاستقرار في منطقة الصراع. في حزيران 2003، أرسل اثنان من مجلس الشيوخ في الولايات المتحدة ذوي نفوذ واحترام "جون وارنر" R-VA و"ريتشارد لوغار" R-IN مناطيد لتجربة نجاح الوجود الأميركي أو حلف الناتو لفرض الاستقرار في المناطق الفلسطينية، وتطبيق القوة العسكرية الأميركية و/أو حلف الناتو لتدمير حماس، وقد اقترح كل منهما على حدا وجود قوات حلف الناتو التي تشتمل

على قوات أميركية لإجبار الفلسطينيين والإسرائيليين على وقف إطلاق النار[104]. وقد ذكر "لوغار" بأنه ينبغي على القوات الدولية أن تتبع حماس، وربما الجماعات الإرهابية الأخرى أيضاً[105]. ولكن مخاطر هذا النهج تفوق فوائده.. ومع ذلك أيضاً فإن نشر القوات الأميركية في المنطقة يشتمل على العديد من المخاطر وربما يكون فيه إلحاقاً للأذى بالمصالح الأميركية والإسرائيلية على السواء. إن لدى الولايات المتحدة التزامات جدية وهامة للمحافظة على السلام في أماكن أخرى من العالم، وحماس والجهاد الإسلامي ستنفذان هجمات انتحارية ضد القوات الأميركية وسيحدث خلاف في الرأي مع إسرائيل حول تفاصيل ومدى الانتقام وسيكون هنالك دوماً خطر حدوث إصابات غير مقصودة بين الإسرائيليين والأميركيين كنتيجة حتمية لأي عمل عسكري إسرائيلي[106].

مع وجود العلاقات الممتازة التي تربط إسرائيل بالولايات المتحدة تبقى المشكلة الرئيسة في هذه العلاقة هي أن الولايات المتحدة قوة عظمى ذات مصالح على مستوى العالم في حين أن إسرائيل ليست كذلك وبالتالي فربما ينصب اهتمامها على نتائج مباشرة ومحددة من الأفعال التي ستتم.. فعلى الولايات المتحدة أن تهتم بالطريقة التي سيفهم بها العالم للأفعال التي تقوم بها هي والأفعال التي تُقدِم عليها إسرائيل وخصوصاً العالم العربي والعالم الإسلامي، لأن الوضع القائم حالياً يشير إلى أن المفهوم الواسع هو أن الولايات المتحدة منحازة إلى جانب واحد في الصرا ع الإسرائيلي - الفلسطيني، ولمقاومة هذا المفهوم العام لدى وسائط الإعلام العربية أو الأوروبية فإن هذا يستلزم من الولايات المتحدة مطالبة إسرائيل ببعض المطالب من حين لآخر.. مثلاً في ربيع عام 2003 فرضت الولايات المتحدة بعض الضغوط على إسرائيل كالتقليل من اغتيال كبار الإرهابيين والتوقف عن توغلها في المناطق الفلسطينية أثناء إجراء مفاوضات وقف إطلاق النار[107].. ولكن يجب فهم هذه الأفعال من جانب الولايات المتحدة على أنها خلافات بسيطة بين الحلفاء وأنه من الضروري دعم مصالح أميركا في جميع أنحاء العالم.

إن الولايات المتحدة محقة في وقوفها إلى جانب إسرائيل في صراعها مع الإرهابيين

الفلسطينيين.. فإسرائيل حليف أهم بكثير مما يمكن أن تنتظر الولايات المتحدة من السلطة الفلسطينية.. ومع ذلك فإن مفهوم وجود عدم مساواة في مواقف الولايات المتحدة تجاه الطرفين يؤثر على علاقات هامة جداً للولايات المتحدة مع دول أخرى مثل المملكة العربية السعودية وباكستان ومصر، بالإضافة إلى الدولة الناشئة في العراق. وهذا بالنسبة لإسرائيل ذو أهمية ضئيلة ولكن ينبغي على الإسرائيليين أن يتفهموا هذا الجانب الهام. وعلى الرغم من المشاكل العَرَضية فإن العلاقة التي تربط إسرائيل بالولايات المتحدة علاقة وطيدة وينبغي أن تكون كذلك بالطبع لأن علاقة من هذا القبيل تخدم مصالح كلا الطرفين.





تصوير

أحمد ياسين

تويتر

@Ahmedyassin90

III - النتيجة الختامية:

إن كلاً من الحرب على الإرهاب والوضع الراهن للنظام العالمي مع الهيمنة الأميركية يقدمان للولايات المتحدة فرصاً ذهبية.. فبإمكان الإمبراطورية الأميركية أن تتوسع في منطقة الشرق الأوسط بقدر لم يسنح لها من قبل نتيجة لاستبدال الأنظمة المعادية لأميركا بأنظمة موالية لها، وإيقاف برامج أسلحة الدمار الشامل، وتضاؤل التهديد الذي يمثله تنظيم القاعدة وحزب الله، وتقدم أفكار التحرر السياسي، واستمرار تدفق النفط إلى الأسواق العالمية، ودعم الدول الحليفة، وتداخل اقتصاديات دول المنطقة مع الاقتصاديات العالمية لتحسين مستوى العيش وتوفير فرص عمل لشعوبها.

تقدم هذه الدراسة الموجزة تبريراً لتوسع السلطة الأميركية في المنطقة وتحدد نقاط جدول أعمال الولايات المتحدة فيها.. ولكن سيكون من الصعب إنجازها جميعاً بسبب وجود عقبات في المنطقة ذاتها وفي الولايات المتحدة أيضاً.. ولهذا ينبغي على الولايات المتحدة المحافظة على ما حققته عندما تجابهها ظروف معاكسة كما حدث في مرات عديدة في تاريخها. والجدير بالملاحظة أن المطالب التي تريد الولايات المتحدة تحقيقها في المنطقة تلقي على عاتقها العسكري عبئاً ثقيلاً لأنها ذات عمق جوهري. لا شك أن من مدعاة فخر الولايات المتحدة مستوى التأهيل العالي لجنودها، وبحارتها، وطياريها، وجنود البحرية الأميركية المزودين جميعاً بأفضل الأسلحة والدعم الإداري لهم، كما تساندهم قدرات استخباراتية استثنائية ومميزة. ولكن مع ذلك سيكون العبء الأكبر في سفك الدماء ملقى على عاتقهم هم وبالتالي لن تتمكن الإدارة الأميركية إطلاقاً من تزيين هذا الأمر لهم وللشعب الأميركي من منطلق الأهمية السياسية لأميركا في أن تنشر قيمها ونفوذها.

وأخيراً.. تبقى الإمبراطورية الأميركية فريدة من نوعها ولا تماثل أية إمبراطورية سابقة. إنها تسعى حثيثاً للسيطرة دون احتلال.. وإلى الحكم من خلال أبناء البلد نفسه.. مع الانتباه الخاص لقيم وأفكار النخبة.. ولكن هنالك دروساً واضحة تلقنتها

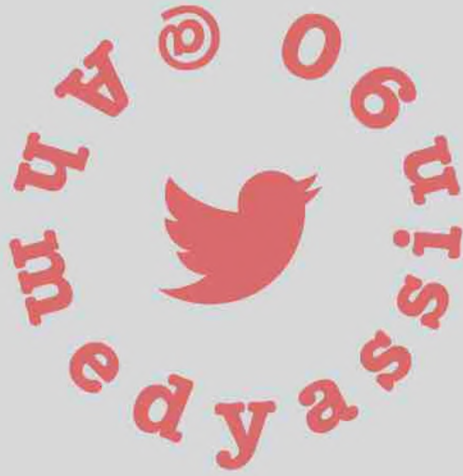
الولايات المتحدة من محاولات سابقة لها في خلق إمبراطورية: أحد أهم هذه الدروس أن السلطة ترعب الذين لا يملكونها وحينما تحين لهم الفرصة المناسبة فإنهم ينقلبون ضدها. قبل عملية تحرير العراق أو كوسوفو بزمن طويل ولغاية انهيار الاتحاد السوفياتي كان هنالك قلق بشأن القوة العسكرية الأميركية ولكن كان هنالك حالة عجز عن تشكيل حلف فعال مضاد لأميركا نظراً للتأثير الكبير الذي تحظى به الدبلوماسية الأميركية وأهمية مصالح الذين كان من الممكن أن يعادونها أنفسهم فقد وجدوا بأنهم إذا كانوا إلى جانب الصف الأميركي فإن ما يكسبونه سيفوق ما يجنوه من عدائهم لها، على الرغم من عقد بعض الاجتماعات للقادة الروس والصينيين أو لمسؤولين روس مع مسؤولين في الاتحاد الأوروبي حيث كانوا ينتقدون الهيمنة الأميركية بلهجة شديدة.

ورغم عدم وجود تأثير فعلي حتى الآن إلا أن تعاضد الدول المعادية ضد الولايات المتحدة يشكل تهديداً حقيقياً.. ففي حين أن الولايات المتحدة كقوة عسكرية تشكل رعباً حقيقياً للعديد من الدول فيجب أن تعرف هي الدول التي تشكل الولايات المتحدة تهديداً لها.. إذ ينبغي عدم النظر إلى الولايات المتحدة إطلاقاً على أنها مصدر تهديد بلا مبرر. لقد شكل "مبدأ بوش" وإعلان "الاستراتيجية الأميركية للأمن القومي" صرخة مدوية للعالم برغبة الولايات المتحدة في البقاء كدولة مهيمنة على العالم وبتنفيذ انتقام إجهاضي ضد أي دولة تشكل تهديداً على الولايات المتحدة. وقد كرر الرئيس الأميركي هذه الفكرة مراراً: "لقد كشف أعداؤنا عن نواياهم عندما قتلوا مواطنينا الأميركيين الأبرياء.. ومنذ ذلك اليوم في أيلول جعلنا نوايانا واضحة لهم.. ولن تقف الولايات المتحدة موقف المتفرج وتنتظر منهم هجوماً آخر.. ولن نثق بعد الآن بالنوايا (الطيبة) لهؤلاء الأشرار.. إننا في مجابهة ضد هؤلاء الإرهابيين وكل من يساندهم.. ولن تسمح الولايات المتحدة لأي جماعة إرهابية أو نظام خارج عن القانون أن يهددوا الولايات المتحدة بأسلحة القتل الجماعي وسوف نرد عليهم كلما لزم الأمر لنحمي حياة وحرية الشعب الأميركي"108. لقد أفزعت هذه الكلمات الكثيرين في كل أنحاء العالم بسبب المفهوم الذي تحمله - هذا إن كانت صحيحة - من أن الولايات المتحدة عدوانية وبأنها عندما ستواجه مشكلة فإنها ستستخدم

الخيار العسكري في المقام الأول.

على الرغم من مفهوم عدوانية الولايات المتحدة في السياسات الدولية فقد تم وضع هذا الخوف في غير موضعه.. فالولايات المتحدة تستهدف الدول فقط مثل إيران وكوريا الشمالية اللتين تهددان جميع الدول الهامة من أوروبا وروسيا واليابان. فكما هي الحال مع الأوروبيين، فإن سكان أميركا اللاتينية وكوريا الجنوبية واليابان هم الآن في حال أفضل مما كانوا عليه من ناحية الأنظمة السياسية والاقتصادية في عام 1945 ويعود الفضل في هذا للسلطة الأميركية وهذا ما سيؤول إليه حال العديد من شعوب الشرق الأوسط مع الوجود الأميركي هناك. وينبغي على الذين ينتقدون الإدارة الأميركية في هذه الدول أن يدركوا بأن تدمير البرامج النووية لإيران وكوريا الشمالية وإضعاف المعتقدات الإرهابية لدى المسلمين سوف يكون ذا فائدة لهم أيضاً. كما أنهم سوف يستفيدون من توسع الاقتصاد العالمي وانتشار المبادئ والقيم اللازمة لذلك. ومن الأفضل لهم أن يتبعوا النصائح التي يوجهها طاقم الطائرات التجارية الأميركية للركاب قبل الإقلاع: "إلزموا أماكنكم.. استرخوا.. واستمتعوا بالرحلة" وسوف تضمن لهم الولايات المتحدة وصولاً آمناً إلى المكان المقصود.. ومع وجوب استخدامها للقوة بشكل حكيم.. هذا هو أوان الولايات المتحدة.

انتهى



تصوير

أحمد ياسين

تويتر

@Ahmedyassin90

الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

السلام الأميركي والشرق الأوسط

المصالح الاستراتيجية الكبرى لأميركا في المنطقة بعد 11 أيلول

«عن العبرية»



تأليف
برادلي أ. تاير
مركز بيغن - السادات للدراسات الاستراتيجية

ترجمة بإشراف
د. عماد فوزي شعيبي
مركز المعطيات والدراسات الاستراتيجية



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90